الفصل الرابع
النار والجنة

المبحث الأول
مقدمات

أولاً: خلود الجنة والنار:

الجنة والنار خالدتان أبداً، والأدلة على ذلك كثيرة وهي تدل على خلود أهل الجنة والنار وهذا يستلزم خلود الجنة والنار ولازم الحق حق.

1 ـ أما الجنة: فقد دل على خلودها الكتاب والسنة:

ـ قال تعالى: ﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود: 108]. يعني غير مقطوع.

ـ وقال تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر: 48]، فقد نفى الله تعالى عنهم الخروج منها والموت فيها تأكيداً لمعنى أبدية الخلود.

ـ وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ

ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾ [النساء: 57].

- وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء: 122][1].

وأما في السنة، فمنها قوله ﷺ: «ينادي مناد يعني أهل الجنة أن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وأن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وأن لكم أن تشبوا لا تهرموا أبداً، وأن لكم أن تنعموا ولا تبأسوا أبداً، فذلك قوله ﷻ: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 43]»[2].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول هل تعرفون هذا فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه فينبح، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: 39]، وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا وهم لا يؤمنون»[3].

2 - وأما خلود النار:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ

(1) اليوم الآخر، عبد المحسن المطيري، ص: 294.

(2) مسلم، ك الجنة وصفتها، رقم: 2837، اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة، ص: 394.

(3) البخاري، ك التفسير، رقم: 4453، مسلم: 2849.

وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾[الزخرف: 74، 75].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنبياء: 98، 99].

- وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ [البَقَرَة: 81] .

وأما السنة فحديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تحسّى سمّاً فقتل نفسه فسمه في يده يتحسَّاه في نار جهنم خالداً مخلَّداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً**»[1].

3 - هل المراد بالخلود طول المكث:

قد يقول القائل: إن المراد بالخلود هو طول المكث لا أبديته، والناس تسمي أبناءها خالداً تفاؤلاً بطول بقائه، وهم يوقنون أنه ميت لا محالة، وتقول العرب: فلان خلّد الله ملكه، يعني أطال الله ملكه، ولكن إلى أمد لا إلى الأبد، والرجل الذي أسن ولم يشب تقول عنه العرب: مخلد[2].

والجواب: الأصل في معنى الخلود هو دوام البقاء وأبديته، قال صاحب لسان العرب: الخلد دوام البقاء في دار لا يخرج

(1) البخاري، ك الطب، رقم: 5445، مسلم، رقم: 109.
(2) لسان العرب (3 / 163).

منها[1]، وإنما يطلق الخلود على طول البقاء لا أبديته بقرينه، كما هو الحال في النار بالأبد لدفع هذا الوهم، وهي بالتتبع ثلاثة مواضع في كتاب الله:

ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾ [النساء: 168، 169].

ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ [الأحزاب: 64، 65].

ـ وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: 23].

وزاد هذا المعنى وضوحاً الآيات التي تنفي خروجهم من النار وتبين أن عذابهم مقيم وثابت، وأن العذاب لا يفتر عنهم وأنهم لا يموتون فيها[2].

ـ قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة: 37].

ـ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الجاثية: 35].

---

(1) لسان العرب (3 / 164).

(2) اليوم الآخر في القرآن والسنة المطهرة، ص: 400.

ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف: 74-75]

ـ وقال تعالى: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الأعلى: 11 ـ 13].

ـ قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود: 106، 107] .ففي تفسير هذه الآية أوجه:

أحدهما: أن قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ﴾ معناه: إلا من شاء الله عدم خلوده فيها من أهل الكبائر من الموحدين وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن بعض أهل النار يخرجون منها، وهم أهل الكبائر من الموحدين، ونقل ابن جرير هذا القول عن قتادة والضحاك، وأبي سنان، وغيرهم.

الثاني: أن المدة التي استثناها الله هي المدة التي بين بعثهم من قبورهم، واستقرارهم في مصيرهم.

الوجه الثالث: أن قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ﴾ فيه إجمال، وقد جاءت الآيات والأحاديث الصحيحة مصرحة بأنهم خالدون فيها أبداً، وظاهرها أنه خلود لا انقطاع له، والظهور من المرجحات، فالظاهر مقدم على المجمل كما يقرر في الأصول[1].

(1) اليوم الآخر في القرآن، العظيم، ص: 402.

4 ـ وهل تفنى النار؟ وهل يموت أهلها؟ وهل يخفف العذاب عن أهلها؟

أما فناء النار فقد بين سبحانه عدمه بقوله: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسرَاء: 97] . ومعلوم أن ﴿كُلَّمَا﴾ تقتضي التكرار بتكرار الفعل الذي بعدها.

وأما موتهم: فقد نص تعالى على عدمه بقوله: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [فاطر: 36] وقوله: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: 74]، وقوله: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: 17].

وقد بيَّن النبي ﷺ في الحديث الصحيح، أن الموت يجاء به يوم القيامة في صورة كبش أملح فيذبح وإذا ذبح الموت حصل اليقين بأنه لا موت، كما قال ﷺ: «**يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت**»[1].

وأما إخراجهم منها: فنص تعالى على عدمه بقوله: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾، وبقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [السجدة: 20]، وبقوله: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: 37].

وأما تخفيف العذاب عنهم: فنص تعالى على عدمه بقوله: ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: 36].

ـ وقوله: ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: 30].

ـ وقوله: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف: 75].

---

(1) البخاري، رقم: 4453.

- وقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: 65].

- وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الفرقان: 77].

- وقوله: ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [النحل: 85].

- وقوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: 37].

وهذا الخلود في حق الكفار لا في حق الموحدين من المسلمين من أصحاب الكبائر، ولا غرابة في خلود الكفار الأبدي، لأن خبثهم الطبيعي دائم لا يزول فكان جزاؤهم دائماً لا يزول والدليل على أن خبثهم لا يزول قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: 23]، فقوله: ﴿خَيْرًا﴾ نكرة في سياق الشرط فهي تعم، فلو كان فيهم خيراً ما، لعلمه الله.

وعذاب الكفار للإهانة والانتقام، لا للتطهير والتمحيص كما أشار له تعالى بقوله: ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾، وبقوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾. والعلم عند الله تعالى[1].

ثانياً: الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن:

الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن لقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 133]. وفي النار ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 24]. والإعداد التهيئة وقد اتفق أهل السنة على هذا.

(1) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، للشنقيطي، ص: 93 ـ 97.

ومن الأدلة على أنهما موجودتان الآن الأحاديث التي يذكر فيها النبي ﷺ أنه رأى الجنة والنار ورأى أهلهما، كحديث عبد الله بن عباس ﷺ أنه قال: خسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ؛ فصلى رسول الله ﷺ والناس معه فقام قياماً طويلاً؛ الحديث وفيه قالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك هذا ثم رأيناك تكعكعت؛ فقال: «**إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا؛ ورأيت النار فلم أر كاليوم منظراً قط ورأيت أكثر أهلها النساء**؛ قالوا: لمَ يا رسول الله؛ قال: **بكفرهن**؛ قيل: يكفرن بالله؟ قال: **يكفرن العشير؛ ويكفرن الإحسان؛ ولو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً قالت ما رأيت منك خيراً قط**»[1].

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً**»؛ قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: «**رأيت الجنة والنار**»[2].

ثالثاً: مكان الجنة:

فوق السماء السابعة وتحت عرش الرحمن أما كونها فوق السماء السابعة فدل عليه القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [النجم: 14، 15]. وسدرة المنتهى فوق السماء السابعة كما في حديث الإسراء المشهور وفيه: «**ثم عرج إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل:**

(1) البخاري، رقم: 4901، مسلم، رقم: 907.
(2) مسلم، رقم: 426.

ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذُهب بي إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال، قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشى تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إليّ ما أوحى ففرض عليّ خمسين صلاة»[1].... فهذا الحديث يدل أن سدرة المنتهى بعد السماء السابعة، وبما أن الجنة عندها إذن فهي فوق السماء السابعة[2].

وأما كون الجنة تحت عرش الرحمن فدل على ذلك من السنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان كان حقاً على الله أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها»**، قالوا: يا رسول الله أفلا نبشر الناس بذلك، فقال: **«إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله كل درجتين ما بينهما كما في السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة**[3]**، فأعلى درجات الجنة هي الفردوس»**. كما في الحديث. وفوق عرش الرحمن، إذن فالجنة تحت عرشه سبحانه[4].

---

(1) مسلم، ك الإيمان، رقم: 162.
(2) اليوم الآخر، د. المطيري، ص: 410.
(3) البخاري، ك الجهاد، رقم: 2637.
(4) اليوم الآخر، د. المطيري، ص: 410.

رابعاً: مكان النار:

قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩﴾[المطففين: 7 ـ 9] .وفي حديث البراء فيقول الله تعالى: « **اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى**»، سجين فعيل من السجن، وهو الضيق، كما يقال: فسيق وشريب وخمير وسكير ونحو ذلك، ولهذا أعظم الله أمره فقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨﴾ [المطفّفين: 8]. أي: أمر عظيم وسجن مقيم وعذاب أليم، وقد فسر في الحديث بأنه في الأرض السفلى، وقال بعضهم: صخرة تحت الأرض السابعة، وقيل بئر في جهنم، وقيل غير ذلك مما لا دليل عليه، ولا قول بعد قول رسول الله ﷺ[1].

والظاهر من الآية أن سجين هو اسم للكتاب لأنه تعالى قال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩﴾، ولكن قال الحافظ ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ قال: ليس تفسيراً لقوله ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾ وإنما هو تفسير لما كُتب لهم من المصير إلى سجين، أي مرقوم مكتوب مفروغ منه لا يزاد فيه أحد ولا ينقص منه أحد، قاله محمد بن كعب القرظي[2] وهكذا قال الراغب والقاسمي[3]، وعليه فيكون قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ تفسير لقوله: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ أي إن كتاب الفجار كتاب مرقوم ويكون قوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾. وهذه جملة معترضة بين المفسّر

(1) الفتح الرباني شرح المسند، للبنا (7 / 77).
(2) تفسير ابن كثير (4 / 485).
(3) محاسن التفسير، للقاسمي (7 / 282).

والمفسّر وهذه الآية ليست صريحة في مكان النار.

وقد دلت الأحاديث أن النار يؤتى بها يوم القيامة فتكون في موضع قبل مكان الجنة، لأن الصراط منصوب على جسر جهنم[1]، ودل حديث عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: «**يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**»[2].

خامساً: أصحاب الأعراف:

قال تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأعراف46-48]. والأعراف سور بين الجنة والنار[3].

وأما أصحاب الأعراف: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فمنعتهم حسناتهم من دخول النار، وقصرت بهم سيئاتهم عن دخول الجنة، فيقفون على السور حتى يقضى بين الناس، ثم يدخلهم الجنة، برحمته نقله البيهقي في كتابه البعث والنشور عن جميع من الصحابة والتابعين[4].

---

(1) اليوم الآخر، عبد المحسن المطيري، ص: 412.
(2) مسلم، رقم: 2842.
(3) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ص: 562.
(4) البعث والنشور، للبيهقي، ص: 81 ـ 87.

وقال عبد الله بن المبارك عن أبي بكر الهزلي قال: قال سعيد ابن جبير وهو يحدث عن ابن مسعود قال: يحاسب الناس يوم القيامة، فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار، ثم قرأ قول الله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ الآيتين، ثم قال: الميزان يخف بمثقال حبة ويرجح، قال: ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف، فوقفوا على الصراط ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار، فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾، وإذا صرفوا أبصارهم إلى يسارهم نظروا أهل النار ﴿لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ تعوذوا بالله من منازلهم. قال: فأما أصحاب الحسنات فإنهم يعطون نوراً يمشون به بين أيديهم وبأيمانهم ويعطي كل عبد يومئذ نوراً، وكل أمة نوراً، فإذا أتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقة، فلما رأى أهل الجنة ما لقى المنافقون قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾، وأما أصحاب الأعراف فإن النور كان بأيديهم فلم ينزع، فهنالك يقول الله تعالى: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾، فكان الطمع دخولاً فقال ابن مسعود: إن العبد إذا عمل حسنة كتب له بها عشر، وإذا عمل سيئة لم تكتب إلا واحدة، ثم يقول: هلك من غلبت آحاده عشراته[1].

وفي قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ﴾، قال ابن عباس: يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه، وأهل النار بسواد الوجوه[2].

---

(1) اليوم الآخر د. المطيري، ص: 418.

(2) تفسير ابن كثير (2 / 216)، فتح القدير (1 / 215).

المبحث الثاني
النار

أولاً: أسماء النار:

1 ـ النار: هي الدار التي أعدها الله.

وأسماء النار التي ذكرت من القرآن ثمانية، أولها وأشهرها النار، وأما البقية فهي كالآتي:

2 ـ سعيراً:

قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾﴾ [الفُرقان: 11].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾ [المُلك: 5].

3 ـ جهنم:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾﴾ [المُلك: 6].

قال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾﴾ [النبإ: 21].

4 ـ لظى:

قال تعالى: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [المعارج: 15 ـ 18]، اللظي: اللهب الخالص، ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾﴾ [الليل: 14 – 15].

التظاء النار: التهابها، وتلظيها: تلهبها، وقوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ [الليل: 14]، أي: تتوهج وتتوقد[1].

5 ـ سقر:

قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ [المدثر: 26 ـ 30].

ـ قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: 48 ـ 49]، والسقر: البعد، وسقرته الشمس: لوحته وآلمت دماغه بحرّها، ويوم مسمقر: شديد الحر[2].

6 ـ الهاوية:

قال تعالى: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة: 9 ـ 11]. وسميت النار بالهاوية لبعد قعرها، فمن سقط يهوى فيها، ومعنى أمه هاوية: أي مستقره الهاوية[3].

7 ـ الحطمة:

قال تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾﴾ [الهمزة: 4 ـ 9].

---

(1) لسان العرب (15 / 248).

(2) المصدر نفسه (4 / 372).

(3) اليوم الآخر، د. المطيري، ص: 425.

والحطم: الكسر في أي وجه كان، قيل: هو كسر الشيء اليابس خاصة، كالعظم ونحوه[1].

وسميت النار بذلك لأنها تحطم رأس وعظام كل من دخلها[2].

8 ـ الجحيم:

قال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾﴾ [الدّخان: 47].

قال رسول الله ﷺ: «**أتاكم رمضان شهر مبارك فرض الله ﷻ عليكم صيامه تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم**»[3].

الجحيم: المكان الشديد الحر، وجَحَم النار أوقدها، ورأيت جحمة النار أي توقدها، وكل نار عظيمة في مهواة فهي جحيم، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴾، وكل نار توقد على نار جحيم، وهي نار جاحمة[4]، وسميت النار بالجحيم لأنها نار عظيمة في مهواة، وهي نار توقد على نار، كما قال تعالى: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾﴾ [الهُمَزة: 6]، أي التي أوقد عليها.

هذا وقد ذهب بعضهم أن هذه الأسماء إنما هي أسماء لأبواب

(1) لسان العرب (12 / 137).
(2) اليوم الآخر: د. المطيري، ص: 426.
(3) سنن النسائي، رقم: 2104، وأصله في الصحيحين.
(4) لسان العرب (12 / 82)، بتصرف وتقديم وتأخير.

جهنم، قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر: 44]. جهنم والسعير ولظى والحطمة وسقر والجحيم والهاوية وهي أسفلهم، وقال بعضهم: إن هذه الأسماء إنما هي لدركات[1] النار، والصحيح أن هذه الأسماء للنار لا لأبوابها ولا لدركاتها، لأن الآثار التي ذكرت ضعيفة، وجميع المفسرين عند تفسيرهم للآيات السابقة إنما يذكرون أن هذه الأسماء أسماء للنار لا غير، وسياق الآيات يدل أن المراد هو النار نفسها لا أبوابها ولا دركاتها، خذ مثلاً على ذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ فبعد أن يكون المعنى: وأعتدنا لمن كذب بالساعة باباً، وكذا قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ ليس معناه لينبذن في باب اسمه الحطمة وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾﴾ نص في أن هذا اسم للنار وكذا قوله تعالى: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾﴾ [القارعة: 9 ـ 11].

وقوله: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر: 48].

ومعاني الأسماء تقوي هذا الرأي أيضاً، فالنار كلها تلتهب وتستعر وتتلظى وتسقر، وهي كلها سوداء، لا بابها فقط ولا جزء من أجزائها، وهي هاوية بعيدة القعر ليس الباب ولا أظن أن النار ليس فيها إلا سبع دركات فقط، قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾، وأهل النار ليسوا على سبعة مستويات فقط، فمنهم من

(1) البعث والنشور، للبيهقي، ص: 255.

يوضع تحت رجله جمرة من النار فيغلى دماغه وهو أهون أهل النار عذاباً، ثم يتدرج العذاب حتى يصل إلى عذاب المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار[1].

ثانياً: خزنة النار:

1 ـ عدد خزنة النار:

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ [المدثر: 27-30]. فعددهم تسعة عشر ملكاً، ولكن القرطبي قال: والصحيح إن شاء الله أن هؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء والنقباء، وأما جملتهم فالعبارة تعجز عنها، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾وقد ثبت في الصحيح عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام؛ مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**»[2].

2 ـ أسماء خزنة النار:

أما كبير خزنة النار فهو مالك عليه السلام، وجاء ذكره في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزّخرُف: 77].

﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ﴾ [الزخرف: 76-77]، وهو خازن النار، أخرج البخاري عن صفوان بن يعلي عن أبيه ﷺ، قال: سمعت

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة، ص: 429.
(2) تفسير القرطبي (19 / 53).

رسول الله ﷺ يقرأ على المنبر ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾، أي يقبض أرواحنا فيريحنا مما نحن فيه فإنهم كما قال تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾، وقال ﷻ: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾، فلما سألوا أن يموتوا أجابهم مالك: ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾.

قال ابن عباس: مكث ألف سنة ثم قال: إنكم ماكثون أي لا خروج لكم منها ولا محيد لكم عنها[1].

وقد وصف الله ﷻ خزنة النار بأنهم ﴿ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ وهم الذين يتولون تعذيب الكفار والعصاة في النار، كما قال سبحانه: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: 17-18].

وعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم، قال فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي زعم ليطأ على رقبته، قال: فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاً وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: «**لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً**» قال: فأنزل الله ﷻ ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ يعني: أبا جهل

(1) تفسير ابن كثير (4 / 135).

﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾ [1].

3 ـ صفاتهم:

وحديثنا هنا عن صفاتهم الزائدة عن الصفات العامة المشتركة للملائكة، وقد ذكر الله تعالى من صفاتهم صفتين، وهاتان الصفتان شاملتان لجميع الصفات وهما: الغلظة والشدة فهي فيهم[2]، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: 6].

وقد ذكر الله تعالى بعض المواقف التي تبين شيئاً من غلظتهم مع أصحاب النار في ثلاث مواطن:

الموطن الأول: عند فتح أبواب جهنم لإدخالهم فيها، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: 71-72].

الموطن الثاني: عند دخولهم النار، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا

(1) مسلم، ك، صفة القيامة والجنة والنار، رقم: 2797.

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة، ص: 435.

نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ [الملك: 8-11].

الموطن الثالث: عند سؤال أهل النار خزنة جهنم أن يشفعوا لهم عند الله في تخفيف العذاب، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾ [غافر: 49، 50].

ثالثاً: صفة النار:

1 ـ أبواب النار:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر: 43، 44]. وعندما يرد الكفار النار تفتح الأبواب ثم يدخلونها خالدين، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: 71]. وبعد هذا الإقرار يقال لهم: ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزُّمر: 72]. وهذه الأبواب تغلق على المجرمين، فلا مطمع لهم في الخروج منها بعد ذلك كما قال تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر: 44] ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا

فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر: 71-72] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴾ [البلد: 19-20][1].

ومؤصدة: مغلقة الأبواب[2]، فأبواب النار مؤصدة مغلقة، وأسوارها ذات عمد ممدودة طويلة لا يمكن تخطيها، ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾﴾ [الهمزة: 8، 9][3].

2 ـ دركات النار:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: 145].

والدرك: هو أقصى قعر الشيء[4]، وقال الراغب: الدرك كالدرج، لكن الدرج يقال اعتباراً بالصعود، والدرك اعتباراً بالحدود، ولهذا قيل درجات الجنة ودركات النار[5]، وقد يطلق على منازل النار درجات، كقوله تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آل عمران: 163].

---

(1) اليوم الآخر، الجنة والنار، عمر الأشقر، ص: 28.
(2) المصدر نفسه، ص: 28.
(3) اليوم الآخر، د. محسن المطيري، ص: 438.
(4) لسان العرب (10 / 422).
(5) مفردات القرآن، للراغب الأصفهاني، ص: 311.

وفي سورة الأنعام ذكر الله أهل الجنة والنار ثم قال: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ [الأنعام: 132] . وقال سبحانه: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آل عمران: 162، 163].

وتتفاوت دركات أهل النار بحسب أعمالهم وسيئاتهم وقد بينا أن الله ﷻ ذكر أن المنافقين في الدرك الأسفل من النار وكونهم في الدرك الأسفل يستلزم أنهم في أشد العذاب وليست هذه الدركة مختصة بالمنافقين فقط بل معهم غيرهم، فقد ذكر الله تعالى لنا ثلاث أصناف من الناس أنهم في أشد العذاب[1]:

الأول: فرعون وقومه، قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: 46] .

الثاني: اليهود الذين آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعضه، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البَقَرَة: 85] .

الثالث: الذين كفروا من أصحاب المائدة، قال تعالى: ﴿إِذْ

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، والسنة المطهرة، ص: 442.

قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: 112-115].

وأما أهون أهل النار عذاباً فهو رجل ينتعل بنعلين يغلي منهما دماغه، فعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أدنى أهل النار عذاباً ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه**»[1].

3 ـ وقود النار:

وقود النار، البشر والحجر، قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البَقَرَة: 24].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾﴾ [آل عِمرَان: 10].

قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبيَاء: 98].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا

(1) مسلم، ك الإيمان، رقم: 211.

ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: 6].

4 ـ شدة حرّها وعظم دخانها وشرارها:

قال تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الواقعة: 41 . 44].

وقد تضمنت هذه الآية ذكر ما يتبرد به الناس في الدنيا في الكرب والحر وهو ثلاثة: الماء والهواء والظل، وذكرت الآية أن هذه لا تغني عن أهل النار شيئاً، فهواء جهنم السموم، وهو الريح الحارة الشديدة الحر، وماؤها الحميم الذي قد اشتد حرّه، وظلها اليحموم، وهو قِطعُ دخانها[1]. والظل الذي أشارت إليه الآية ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ هو ظل دخان النار، والظل يشعر عادة بالنداوة والبرودة، كما أن النفس تحبه وتستريحه إليه، أما هذا الظل فإنه ليس بارد المدخل ولا بكريم المنظر، إنه ظل من يحموم، وقد حدثنا القرآن في هذا الظل الذي هو دخان جهنم الذي يعلو النار، فقال: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات: 31-33]، فالآية تقرر أن الدخان الذي يتصاعد من هذه النار لفخامته ينقسم إلى ثلاثة أقسام، وهو يلقي ظلالاً ولكنها غير ظليلة، ولا تقي من اللهب المشتعل، أما شوار هذه النار المتطاير منها فإنه يشتبه الحصون الضخمة، كما يشبه هذا الشرار الجمالة الصفر إي الإبل السود.

---

(1) اليوم الآخر، الجنة والنار، للأشقر، ص: 33.

وقال الحق مبيناً قوة هذه النار، ومدى تأثيرها في المعذبين: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾ [المدثر: 27-30]. إنها تأكل كل شيء، وتدمر كل شيء، لا تبقي ولا تذر، تحرق الجلود، وتصل إلى العظام وتصهر ما في البطون، وتطلع على الأفئدة.

وقد أخبرنا الرسول ﷺ: أن نارنا جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم قيل: يا رسول الله، إن كانت لكافية؟ قال: «**فضلت عليها بتسعين جزءاً كلهن مثل حرها**»[1] وعندما تستقبل النار أهلها يوم القيامة تسعر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾» [التكوير: 12-13]. ومعنى سعرت: أوقدت، وأحميت[2].

5 ـ النار تتكلم وتبصر وتغضب:

الذي يقرأ النصوص من الكتاب والسنة التي تصف نار جهنم يجدها مخلوقاً يتكلم ويبصر ويغضب، أما كلامها فيقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ [قَ: 30].

وأما رؤيتها للناس، فيقول تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفرقان: 11، 12]. فقوله: ﴿رَأَتْهُم﴾ يدل على أنها تبصر، وقوله: ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا﴾ يدل على أنها تتكلم، وقوله: ﴿تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ يدل على أنها تغضب.

---

(1) البخاري، رقم: 3092، مسلم، رقم: 2843.

(2) اليوم الآخر الجنة والنار للأشقر، ص: 43.

وأما غضبها فيقول سبحانه: ﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨﴾[الملك: 7، 8].

وقال تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۝١٢﴾ [الفُرقان: 12] ، فهي تشهق وتزفر من غيظها على الكافرين بل تكاد تتميز أي تتقطع[1] من شدة غضبها عليهم.

6 ـ وديان النار:

سمّى الله تعالى بعض أسماء هذه الأودية وهي كالتالي:

أ. وادي الويل: قال تعالى: ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: 18].

وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ [الهمزة: 1-3].

وعن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره والصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفاً يهوي به كذلك فيه أبداً**»[2].

ب. وادي الغي: قال تعالى: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩﴾ [مريَم: 59].

---

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة، ص: 446.

(2) ابن أبي الدنيا، صفة النار، ص: 36، صححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي.

قال ابن مسعود ﷺ في تفسيره قوله: ﴿بَغَيًّا﴾ : هو واد في جهنم يقذف فيه الذين اتبعوا الشهوات[1].

وقال البراء بن عازب ﷺ: الغي وادي في جهنم بعيد القعر منتن الريح[2]، وهذا لا يقال من قبل الرأي فله حكم الرفع[3].

ج . وادي المَوْبق: قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ [الكهف:52]. قال أنس بن مالك في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ واد من قيح ودم[4].

وقال عبد الله بن عمر ﷺ : واد في النار عميق فرق يوم القيامة بين أهل الهدى والضلالة[5]، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ قال ابن عباس: مهلكاً[6].

والظاهر من السياق هٰهنا أنه المهلك ويجوز أن يكون وادياً في جهنم أو غيره، والمعنى أن الله تعالى بين أنه لا سبيل لهؤلاء المشركين ولا وصول لهم إلى آلهتهم التي كانوا يزعمون في الدنيا وأنه فرق بينهم وبينها في الآخرة، فلا خلاص لأحد من الفريقين، بل بينهم مهلك وهول عظيم وأمر كبير[7].

---

(1) ابن أبي الدنيا، صفة النار، ص: 41.
(2) المصدر نفسه، ص: 460.
(3) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 450.
(4) البيهقي في البعث والنشور، ص: 261.
(5) المصدر نفسه، ص: 261.
(6) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 450.
(7) المصدر نفسه، ص: 451.

7 ـ جبال النار:

قال تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾ [المدَّثِّر: 17]. قال ابن عباس في تفسير هذه الآية: جبل في جهنم[1].

8 ـ سرادق النار:

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: 29]: السرادق: كل ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب أو خباء[2]. وقال رسول الله ﷺ: «**السرادق النار أربع جدر كثف كل جدار مثل مسيرة أربعين سنة**»[3]، وهذا السور له أعمدة ممددة طويلة كما قال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾﴾ [الهمزة: 8، 9].

9 ـ سعة النار وبُعد قعرها وعظم عمقها:

ويدل على ذلك أمور كثيرة منها:

أ ـ أن من أسماء النار الهاوية: أي يُهوى بها لبعد قعرها، وعن أبي هريرة قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة فقال النبي ﷺ: «**تدرون ما هذا؟**» قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «**هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً فهو يهوى في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها**»[4].

---

(1) أخرجه البيهقي في البعث والنشور، ص: 268.
(2) النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (2 / 359).
(3) سنن الترمذي، رقم: 2584، صححه الحاكم كما في تحفة الأحوذي (7 / 258).
(4) مسلم، رقم: 2844.

ب ـ أن الكافر يكبر حجمه في النار: قال رسول الله ﷺ: **«ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث»**[1]، والذين يدخلون النار أعداد لا تحصى ومع العدد الهائل من الناس وبهذا الحجم الكبير للكفار فإنه لا تمتليء بل وتطلب المزيد، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ [قّ: 30].

ج ـ ويدل على عظمها أيضاً كثرة الذين يجرونها من الملائكة: فقد فسر النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: 23]. بأن الذين يجيئون بها ملائكة، قال رسول الله ﷺ: **«يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»**[2].

10 ـ وصف عذاب النار:

إن الذي يتأمل ويتدبر في القرآن الكريم يجد في آيات كثيرة أن الله سبحانه وتعالى قد وصف عذاب الحياة الآخرة، بأوصاف كثيرة متنوعة، مما يدل على عظمة عذابها وشدته، فمن هذه الأوصاف:

ـ أنه أشق وأشد: قال تعالى: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾ [الرّعد: 34].

ـ وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: 127].

---

(1) مسلم، ك الجنة، رقم: 2851.

(2) مسلم، رقم: 2842.

ـ غرام: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾ [الفرقان: 65].

والغرام: اللازم الدائم، ومنه سمي الغريم لملازمته، ويقال: فلان مغرم بكذا، أي: ملازم له ومولع به، هذا معناه في كلام العرب، كما ذكره ابن الأعربي وابن عرفة وغيرهما، ومنه قول الأعشى:

إن يعاقب يكن غراما وإن يعط جزيلاً فإنه لا يبالي[1]

ـ العذاب المهين: قال تعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [البقرة: 90].

وقوله تعالى: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ لما كان كفرهم سببه البغي والحسد، ومنشأ ذلك التكبر قوبلوا بالإهانة والصغار في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60] أي صاغرين حقيرين ذليلين راغمين[2]

ـ العذاب الأخزى: ومن أوصاف عذاب الآخرة أنه عذاب أخزى، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ

(1) ديوان الأعشى الكبير (1 / 45) الحياة في القرآن الكريم، أحزمي سامعون جزولي (1/ 274).

(2) تفسير ابن كثير (1 / 112).

عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [فُصِّلَت: 16].

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عِمرَان: 192].

- العذاب العظيم: قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾ [آل عِمرَان: 176].

- العذاب السيىء: ومن الأوصاف لعذاب الحياة الآخرة أنه العذاب السيىء، الشديد النكاية.

- قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الزُّمَر: 24].

- وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الزُّمَر: 47].

- العذاب الأكبر: قال تعالى: ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الزمر: 25، 26].

- وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [القَلَم: 33].

ـ وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾﴾ [الغاشية: 21-24][1].

11 ـ كيفية دخول أهل النار إلى جهنم:

فصل الله تعالى كيفية دخول أهل النار إلى جهنم، وبين ذلك في كثير من الآيات، فقد أمر الله تعالى الملائكة أن تقيد وتغل الكافر، قال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾﴾ [الحاقة: 30] : الغل: هو ما يقيد به[2]، وهذا القيد يكون في عنقه كما قال تعالى: ﴿۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾﴾ [الرعد: 5] .

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سبإ: 33] . وهذه الأغلال عبارة عن سلاسل الحديد، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [غافر: 70-72].

ثم تجمع الملائكة نواصيهم مع أقدامهم ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾ [الرحمن: 41] . عن ابن عباس قال: يُجمع بين رأسه ورجليه ثم يقصف كما يقصف الحطب[3].

---

(1) الحياة في القرآن الكريم (1 / 272. 281)

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 457 .

(3) البعث والنشور للبيهقي، ص: 286.

ثم يساقون إلى النار سوقاً شديداً ويدفعون إليها دفعاً ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الطور: 13، 14]. الدع: الدفع الشديد ثم إذا اقتربوا منها فتحت أبوابها في وجوههم بغتة حتى يصيبهم عذاب الفزع، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: 71]. ثم يلقون فيها إلقاء من مكان ضيق، وهم مكتفون، قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾﴾ [الفرقان: 13]، مقرنين أي مشدودين ومربوطين[1].

وهذا الربط بالاصفاد هي الاغلال ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾﴾ [إبراهيم: 49]. وهذا الإلقاء إنما يكون على وجوههم، قال تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النمل: 90][2]. ثم يلقى بعضهم على بعض، قال تعالى: ﴿فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الشعراء: 94، 95]. كبكبوا: ألقي بعضهم على بعض[3].

ثم تبدأ بعد ذلك سلسلة طويلة من أنواع العذاب وأصناف النكال وألوان الآلام[4].

---

(1) مفردات القرآن للأصفهاني، ص: 667.
(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 457.
(3) لسان العرب، لابن منظور (1 / 697).
(4) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 458.

12 ـ أول من تسعر بهم النار يوم القيامة:

قال رسول الله ﷺ: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه، رجل استشهد فأتى به فعرفه نِعَمَهُ فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتي به، فعرفه نِعَمَهُ فعرفها، قال: فما عملت؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال كذبت، ولكنك تعلمت ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال: قارىء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال، فأتى به فعرفه نِعَمَهُ فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحبُّ أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال جواد، وقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار»[1].

ثالثاً: ما أعد الله لأهل النار من عذاب:

1 ـ شدة العذاب:

ومن شدة عذابها أن نفخة واحدة منها تكفي بأن يقروا بكل شيء.

ـ قال تعالى: ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ

(1) مسلم، ك الجهاد، باب من قاتل للرياء والسمعة (2 / 1513).

يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنبياء: 46] .

- وقال تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَۭ ﴿٩﴾﴾[الهمزة: 4 . 9].

- وقد اشتملت هذه السورة . مع قصرها . على سبع أمور تدل على عظيم عذاب نار جهنم، وشدته، وهي كالتالي:

أ - قوله: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾ ، والنبذ يستخدم للتحقير والمهانة، والذل، ويقال: فلان منبوذ، أي مهان محتقر لا نصير له ولا معز، فهم إضافة لعذابهم البدني بالنار، فإنهم يعذبون عذاباً نفسياً بالمهانة والتحقير.

ب - قوله: ﴿ٱلۡحُطَمَةِ﴾: تسمية النار بالحطمة تعظيم لعذابها، لأنها تحطم عظام ورؤوس من دخلها.

ج - قوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ﴾ هذا الأسلوب أسلوب تعظيم كقوله تعالى ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: 1-3]، وقوله: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴿٣﴾﴾[القارعة: 1 - 3].

د - قوله تعالى: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ﴾، أضاف الله تعالى النار إلى نفسه سبحانه، وهذه إضافة تعظيم، كقوله تعالى: ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ و﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾.

هـ - وقوله تعالى: ﴿ٱلۡمُوقَدَةُ﴾: على وزن مفعلة، وهذه

الصيغة من صيغ اسم المفعول[1]. ومن المعلوم أن هذه الصيغة تدل على الوقع عليه الفعل، فهي إذن نار ويوقد عليها، والإيقاد إنما يكون بالنار، وهذا من الغرائب كيف يوقد على النار، وهي التي يوقد بها لا عليها، ولكن نار جهنم من شدة نارها وحرارتها يوقد عليها حتى لا تخبو وتضعف، كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: 97].

و ـ ﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾: من شدة حرارة جهنم أنها لا تحرق الأبشار والجلود فقط، بل يصل حرقها ونارها وحرارتها إلى القلب والفؤاد.

ز ـ ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾: من شدة عذابها أنها محكمة الغلق موصدة الأبواب ممددة الأعمدة والأسوار، لا منجا منها ولا مهرب ولا مفر[2].

2 ـ إحاطة النار بأهلها:

قال تعالى: ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ۝٥٥ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [ص: 55-56]، وقال تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤١﴾ [الأعراف: 41].

المهاد: المكان الممهد، الموطأ[3]، وهو الفراش، وهذا يكون

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 495.
(2) المصدر نفسه، ص: 495.
(3) المفردات للراغب، ص: 78.

من تحتهم، ومهادهم من جهنم. وغواش: جمع غاشية، أي: نيران تغشاهم[1].

- وقال تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنبياء: 39].

وقال تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [العنكبوت: 54، 55].

- وقال تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزُّمَر: 16].

الظلل: جمع ظلة، والظلة سحابة تظل، كغرف وغرفة، كقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ [الأعراف: 171]. وقوله: ﴿عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ [الشُّعَرَاء: 189]. وهذه الظلل من نار[2].

3 - قيود أهل النار وأغلالهم وسلاسلهم ومطارقهم:

أعد الله تعالى لأهل النار أغلالاً وسلاسل وقيوداً ومطارق وأوثق بها أهل الكفر وثاقاً لا يمكن لأحد من العالمين أن يوثقه، قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾ [الفجر: 25، 26].

---

(1) تفسير القرطبي (7 / 133).

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة، ص: 496.

والأغلال جمع غل وهو ما يقيد به، فيجعل الأعضاء وسطه[1].

قال تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: 33].

والأصفاد: جمع صفد وهو الغل، والأصفاد هي الأغلال.

قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾﴾ [إبراهيم: 49]. والسلاسل. معروفة. هي القيود من حديد.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ [غافر: 69-74].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾ [الإنسان: 4]. وطول هذه السلسلة سبعون ذراعاً، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [الحاقة: 31، 32]. وطول السلسلة لا يستغرب ولا يشكل لأن الكافر يكبر حجمه في النار حتى يكون ضرسه كجبل أحد[2]، والمقامع هي المطارق، ومقامع أهل النار من مادة الحديد حتى يكون وقعها أشد، قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا

(1) المفردات للراغب، ص: 610 بتصرف.

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 497.

أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ [الحج: 21 . 22]. أي كلما أراد أحدهم الخروج من النار ضرب بالمقمع فيهوى مرة أخرى في النار.

4 ـ قرن أهل النار بمعبوداتهم وشياطينهم:

قال تعالى: ﴿۞ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات، : 22، 23].

وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنبياء: 98، 99].

لما عبد الكفار الآلهة من دون الله، واعتقدوا أنها تشفع لهم عند الله، وتقربهم إليه عوقبوا بأن جعلت معهم في النار إهانة لهم وإذلالاً، ونكاية لهم وإبلاغاً في حسرتهم وندامتهم، فإن الإنسان إذا قرن في العذاب بمن كان سبب عذابه كان أشد في ألمه وحسرته[1]، ومن أجل ذلك يقذف يوم القيامة بالشمس والقمر في النار، ليكونا مما توقد به النار، تبكيتاً للظالمين الذين يعبدونهما من دون الله ففي الحديث: الشمس والقمر مكوران في النار[2].

ولهذا المعنى يقرن الكفار بشياطينهم ليكون أشد لعذابهم.

---

(1) اليوم الآخر في القرآن، العظيم والسنة المطهرة، ص: 499.
(2) تفسير ابن كثير (3 / 213).

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الزخرف: 36-39].

5 ـ سجون أهل النار:

قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾﴾ [المطففين: 7، 8].

سجين فعيل من السجن، وهو الضيق، كما يقال: فسيح وشريب وخمير وسكير ونحو ذلك ولهذا أعظم الله أمره فقال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾﴾ [المطفّفين: 8] أي أمر عظيم وسجن مقيم وعذاب أليم[1].

وقال رسول الله ﷺ: **«يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان، فيساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس، تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال»**[2].

6 ـ طعام أهل النار:

ذكر الله تعالى في آيات كثيرة أنواعاً من طعامهم، وهي كالتالي:

---

(1) الفتح الرباني (7 / 77).

(2) سنن الترمذي، ص: 2493 حسن، صحيح.

أ ـ فهم يأكلون النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾﴾ [البَقَرَة: 174]. أي إنما يأكلون ما يأكلونه. في مقابلة كتمان الحق. ناراً تأجج في بطونهم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النِّساء: 10].

وقال رسول الله ﷺ: **«الذي يشرب في إناء الفضة، إنما يجرجر في بطنه نار جهنم»**[1].

ب ـ الزقوم: من أشجار النار الزقوم، وهي شجرة لا نفع فيها، فهي لا ظل لها ينعمون به، ومنظرها بشع فطلعها كأنه رؤوس الشياطين وما الظن بشجرة تنبت في أصل الجحيم، وإنما القصد من وضع هذه الشجرة هو تعذيبهم بها فيأكلون من ثمرها ظناً منهم أنه ينفعهم فما يزيدهم إلا عذاباً، فإذا أكلوا بدأ يغلي في بطونهم، فيفزعون يبحثون عن الماء ليطفئ الغليان الذي في بطونهم فيشربون من ماء الحميم يكرعون منه كرعاً فيقطع أمعاءهم ويتضاعف العذاب عليهم[2].

ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ

(1) البخاري، رقم: 5311.

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة، ص: 447.

﴿ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان: 43-49].

المهل: قيل هو عكر الزيت[1]، وقيل النحاس المذاب[2]، فيبدأ يغلي في بطنه كما يغلي الحميم وهو الماء الحار.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الواقعة: 51-56]. فقوله: ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾﴾ [الواقعة: 54] أي: على الزقوم ليطفأ غليانه، و«الْهِيمِ»: هي الإبل العطاش واحدها أهيم والأنثى هيماء، ويقال هائم وهائمة، والهيم: داء يأخذ الإبل فلا ترى أبداً حتى تموت، فكذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبداً[3].

وقال تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: 62-68]. فبعد شربهم من الحميم يرجعون مرة أخرى إلى النار، فهذا حالهم من شجر الزقوم مرة أخرى، وهكذا كأنه في طواف، قال تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ

(1) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني، ص: 781.
(2) تفسير القرطبي (16 / 100).
(3) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 447.

﴿٤٤﴾﴾ [الرحمٰن: 43، 44]. والحميم الآن: هو الماء الذي بلغ أقصى حرارته[1].

ج ـ الغسلين: قال تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ [الحاقة: 35-37].

الغسلين: غُسالة أبدان الكفار في النار[2]، وهو الدم والماء الذي يسيل من لحومهم[3].

د ـ الضريع: قال تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾﴾ [الغاشية: 6، 7].

الضريع: نبات في الحجاز له شوك كبار، يقال له: الشرِق، فإذا يبس قيل له: الضريع.

هـ ـ طعام ذو غصة: قال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾ [المزمل: 12، 13].

قال ابن عباس في قوله: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ قال: شوك يأخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج[4].

7 ـ شرابهم:

أ ـ الحميم: وهو الماء المغلي شديد الحرارة[5]. قال

---

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 448.
(2) اليوم الآخر د. المطيري، ص: 502.
(3) البدور السافرة للسيوطي، ص: 493.
(4) صفة النار، لابن أبي الدنيا، ص: 64.
(5) المفردات للراغب، ص: 254، لسان العرب (12 / 153).

تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: 70]. وقال تعالى: ﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الرحمن: 43، 44]. أي: بلغ وقته من شدة الحر، ومنه قوله تعالى: ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾﴾ [الغاشية: 5].

قال تعالى: ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الواقعة: 42، 44]. قوله ﴿سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ أي: هواء حار، وماء حار، وقال تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾﴾ [النبأ: 24، 25].

وهذا الحميم إذا شربوه قطع أمعاءهم كما قال سبحانه: ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: 15].

وإذا لم يشربوه صب فوق رؤوسهم فتنصهر جلودهم وما في بطونهم، قال تعالى: ﴿۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾﴾ [الحج: 19، 20].

وقال ﷺ: **«إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه فيسلتُ ما في جوفه حتى يمرق من قدميه»**[1].

ب ـ ماء الصديد: قال تعالى: ﴿مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ

(1) سنن الترمذي، رقم: 2582، حسن، صحيح غريب.

مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [إبراهيم: 16-17].

الصديد: هو القيح والدم[1]. ولا يزال هذا الصديد يكثر خروجه من أهل النار حتى يصبح نهراً يسمى نهر الخبال.

وعن عبد الله بن عمر ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من شرب الخمر لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد الرابعة لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب لم يتب الله عليه وسقاه من نهر الخبال**»، قيل: يا أبا عبد الرحمٰن وما نهر الخبال؟ قال: نهر من صديد أهل النار[2].

ج ـ ماء كالمُهل: قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: 29]. المُهل: دردي الزيت، وهو ما يبقى في أسفله[3]، فهو ماء ثقيل، يختلف عن الحميم.

د ـ الغساق: قال تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾﴾ [النبأ: 24، 25].

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾﴾ [ص: 57، 58].

---

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 504.

(2) سنن الترمذي، الأشربة، رقم: 1862، صححه الألباني في صحيح الترمذي (2/ 169).

(3) لسان العرب (3/ 166).

أما الحميم فهو الحار الذي قد انتهى حره، وأما الغساق فهو ضده وهو البارد الذي لا يستطاع من شدة برده المؤلم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَاجٌ﴾، أي: وأشياء من هذا القبيل: الشيء وضده يعاقبون بها[1].

وعن مجاهد قال: الغساق الذي لا يستطيعون أن يذوقوه من شدة برده[2]. وعن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾﴾ [النبأ: 24، 25]. قال: استثنى من الشراب: الحميم، ومن البارد: الغساق[3].

8 ـ لباس أهل النار:

بعد أن يحشر الناس حفاة عُراة يلبسون لباساً وهذا اللباس ليس لستر العورة، ولا للزينة لأنه لباس مقطع ممزق، بل لباس لزيادة العذاب فهو لباس من نار، قال تعالى: ﴿۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾﴾ [الحج: 19، 20].

قوله: قُطِّعَتْ يعني ليست مفصلة على جسمهم، بل هي مقطعة ممزقة وكان إبراهيم التيمي إذا قرأ هذه الآية يقول سبحان من قطع من النيران ثياباً[4]، وقال تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم: 50].

---

(1) تفسير ابن كثير (4 / 41).
(2) البدور السافرة، للسيوطي، ص: 441.
(3) المصدر نفسه، ص: 441.
(4) اليوم الآخر، للأشقر، ص: 97.

السرابيل: جمع سربال، والسربال هو القميص أو الدرع، وقيل: كل ما لبس فهو سربال[1].

والقطران: النحاس المذاب[2]، فلباسهم من نحاس مذاب، والنحاس لا يكون مذاباً حتى يحمي عليه ويكون في الغاية من الحرارة والغليان.

وعن أبي مالك الأشعري حدثه أن النبي ﷺ قال: «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر في الحساب، والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة**»، وقال: «**النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب**»[3].

9 ـ صور من عذابهم:

أ ـ إنضاج الجلود: إن نيران الجبار تحرق جلود أهل النار، والجلد موضع الإحساس بألم الاحتراق، ولذلك فإن الله يبدل لهم جلوداً أخرى غير تلك التي احترقت لتحترق من جديد[4].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 56].

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ

(1) لسان العرب (11 / 335).
(2) البعث والنشور للبيهقي، ص: 284.
(3) مسلم، ك الجنائز، رقم: 934.
(4) اليوم الآخر، للأشقر، ص: 97.

فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف: 29].

ب ـ الصهر: من ألوان العذاب صب الحميم فوق رؤوسهم والحميم هو ذلك الماء الذي انتهى حره، فلشدة حره تذوب أمعاؤهم وما حوته بطونهم، قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾﴾ [الحج: 19، 20].

وقال رسول الله ﷺ: **«إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان»**[1].

ج ـ اللفح: أكرم ما في الإنسان وجهه، ولذلك نهانا الرسول ﷺ عن ضرب الوجه ومن إهانة الله لإهل النار أنهم يحشرون في يوم القيامة على وجوههم عمياً وصماً وبكماً، قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: 97].

ويلقون في النار على وجوههم، قال تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النمل: 90].

ثم أن النار تلفح وجوههم وتغشاها أبداً لا يجدون حائلاً

(1) سنن الترمذي، رقم: 2582، حسن، صحيح غريب.

يحول بينهم وبينها، قال تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنبياء: 39].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المؤمنون: 103، 104].

في قوله تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ يجرفها ،واللفح كالنفخ إلا أنه أشد تأثيراً منه، وتخصيص الوجوه بذلك لأنها أشرف الأعضاء فبيان حالها أزجر عن المعاصي المؤدية إلى النار، وهو السر في تقديمها على الفاعل[1]، ثم إن وجوههم تعلوها وتحيط بها وتسعر أجسامهم المسربلة بالقطران[2] قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم: 49-50].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾ [الأحزاب: 66].

إنه مشهد بائس أليم حين تغشاهم النار من كل جهة، فالتعبير على هذا النحو يراد به تصوير الحركة وتجسيمها والحرص على أن تصل النار إلى كل صفحة من صفحات وجوههم زيادة في النكال[3].

(1) تفسير أبي السعود (6 / 151).
(2) القطران: النحاس المذاب، غريب القرآن، ص: 407.
(3) في ظلال القرآن (5 / 2883).

د ـ السحب: ومن أنواع العذاب الأليم سحب الكفار في النار على وجوههم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر: 47، 48].

ويزيد في آلامهم إهانتهم حال سحبهم في النار أنهم مقيدون بالقيود والأغلال والسلاسل، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ ۚ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [غافر: 69، 72] قال قتادة: يسحبون مرة في النار وفي الحميم مرة[1].

هـ ـ تسويد الوجوه: ومن ألوان عذاب الحياة الآخرة تسويد الوجوه، وذلك لما ترى من سوء العاقبة وما يحل بها من النكال والوبال، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:6]. كأنما ألبست وجوههم قطعاً من أديم الليل حال كونه حالكاً مظلماً لا بصيص فيه من نور القمر الطالع ولا النجم الثاقب، فتشقها قطعة بعد قطعة، فصارت ظلمات متراكمة فوق بعض[2].

ـ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [يونس: 27]. ونحو الآية قوله

(1) الحياة في القرآن الكريم (1 / 286).
(2) تفسير المراغي (4 / 96).

تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ [القيامة: 24، 25].

تلك وجوه أهل النار التي تغشاها ظلمة وانكدار، ويبدو عليها مضض[1]، وإرهاق، فإنها ليست كالحة فحسب، ولكن يخالجها التوجس[2]، أن تنزل بها داهية تقصم[3] الفقار[4]، والتوجس شر من وقوع العذاب[5].

و ـ اندلاق الأمعاء في النار: في الصحيحين عن أسامة بن زيد عن النبي ﷺ قال: «**يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتابه في النار، فيطحن فيها كطحن الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: أي فلان، ما شأنك، أليس كنت تأمر بالمعروف، وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه**[6]. ثم يدور ويسعى حولها كما يدور الحمار برحاه».

ز ـ حيات جهنم: في النار حيات يعذبن أهلها، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران: 180].

---

(1) المضض: وجع المصيبة، لسان العرب (7 / 233).
(2) التوجس: التسمع إلى الصوت الخفي.
(3) القصم: كسر الشيء.
(4) الفقار: الظهر.
(5) الحياة في القرآن الكريم (1 / 287).
(6) متفق عليه مشكاة المصابيح (2 / 642)، رقم: 2139.

وهذا الطوق عبارة عن ثعبان في رقابهم، كما فسرها بذلك النبي ﷺ، فعن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: «**ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جعل الله يوم القيامة في عنقه شجاعاً**»، ثم قرأ علينا مصداقه من كتاب الله ﷻ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾.

وقال مرة: قرأ رسول الله ﷺ مصداقه: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ «**من اقتطع مال أخيه المسلم بيمين لقي الله وهو عليه غضبان**»، ثم قرأ رسول الله ﷺ **مصداقه من كتاب الله**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ...﴾[1].

وقال رسول الله ﷺ: «**من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً**[2] **أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك، ثم تلا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾**[3].

وقال رسول الله ﷺ: «**إن في النار حيات كأمثال أعناق البخت تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفاً، وإن في النار عقارب كأمثال البغال الموكفة تلسع إحداهم اللسعة فيجد حموتها أربعين سنة**»[4].

---

(1) سنن الترمذي، رقم: 3012، حسن، صحيح.
(2) الشجاع: الحيّة الذكر والأقرع الذي تقرع رأسه.
(3) البخاري، ك الزكاة، رقم: 1338.
(4) الإحسان، لابن حبان، رقم: 7417، صححه ابن حبان.

ح ـ كثرة أهلها: النار أهلها كثيرون وقد دل على ذلك كتاب الله تعالى في ثلاثة مواضع وهي:

ـ قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هُود: 119].

ـ وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السَّجدَة: 13].

ـ وقال تعالى: ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [صٓ: 84-85].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله تعالى يا آدم، فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك، فيقول أخرج بعث النار، قال وما بعث النار قال من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين، فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾**»، قالوا: يا رسول الله، وأيُّنا ذلك الواحد؟ قال: «**أبشروا فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألفاً**»، ثم قال: «**والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة**»، فكبّرنا، فقال: «**أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة**»، فكبّرنا، فقال: «**أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة**»، فكبّرنا، فقال: « **ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود**»[1].

(1) البخاري، ك أحاديث الأنبياء، رقم: 3170.

رابعاً: مطالب أهل النار في الآخرة:

مطالب أهل النار في الآخرة هي:

1 ـ طلب الفداء:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٣٦ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَا وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ۝٣٧﴾[المائدة: 36، 37].

إن أقصى ما يتصوره الخيال على أساس الافتراض: هو أن يكون للذين كفروا كل ما في الأرض جميعاً، ولكن السياق يفترض لهم، ما فوق الخيال في عالم الافتراض، فيفرض أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه، ويصورهم يحاولون الافتداء بهذا وذلك لينجوا به من عذاب يوم القيامة ويرسم مشهدهم وهم يحاولون الخروج من النار ثم عجزهم عن بلوغ الهدف وبقاءهم في العذاب الأليم المقيم، إنه مشهد مجسم ذو مناظر وحركات متواليات، منظرهم ومعهم ما في الأرض ومثله معهم، ومنظرهم وهم يعرضونه ليفتدوا به ومنظرهم وهم مخيبوا الطلب غير مقبولي الرجاء، ومنظرهم وهم يدخلون النار، ومنظرهم وهم يحاولون الخروج منها، ومنظرهم وهم يرغمون على البقاء، ويسدل الستار ويتركهم مقيمين هناك[1].

---

(1) تأمل الفرق بين مطالب الظالمين في الدنيا والآخرة رجب محمود بخيت، ص: 18 في ظلال القرآن سيد قطب (2 / 882).

ـ قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾ [الرعد: 18]. أي: من مات فلن يقبل منه خيراً أبداً ولو كان قد أنفق مثل الأرض ذهباً لو افتدى نفسه من الله بملء الأرض ذهباً بوزن جبالها وتلالها وترابها ورمالها وسهلها ووعرها وبرها وبحرها[1].

ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾﴾ [آل عمران: 10].

والأموال والأولاد مظنة حماية ووقاية ولكنهما لا يغنيان شيئاً في ذلك اليوم الذي لا ريب فيه لأنه لا خلاف لميعاد الله وهم فيه ﴿وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ بهذا التعبير الذي يسلبهم كل خصائص الإنسان ومميزاته ويصورهم في صورة الحطب والخشب وساء...﴿وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ لا بل إن الأموال والأولاد ومعهما الجاه والسلطان لا تغني شيئاً في الدنيا[2].

ـ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الزمر: 47، 48].

---

(1) تفسير ابن كثير (1 / 280).

(2) في ظلال القرآن (1 / 373)، مطالب الظالمين في الدنيا والآخرة رجب بخيت، ص: 20.

إنه الهول الملفوف في ثنايا التعبير الرهيب، فلو أن لهؤلاء الظالمين، لو أن لهؤلاء ﴿مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ مما يحرصون عليه ﴿وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ﴾ لقدموه فدية مما يرون من سوء العذاب يوم القيامة. وهول آخر يتضمنه التعبير الملفوف ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ ولا يفصح عما بدا لهم من الله ولم يكونوا يتوقعونه. لا يفصح عنه ولكنه هكذا هائل مذهل مخيف، فهو الله الذي يبدو منه لهؤلاء الضعاف ما لا يتوقعون هكذا بلا تعريف ولا تحديد ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

وهذه كذلك تزيد الموقف سوءاً، حين يتكشف لهم قبح ما فعلوه، وحين يحيط بهم ما كانوا به يستهزئون من الوعيد والنذير وهم في ذلك الموقف الأليم[1].

2 ـ طلب العودة إلى الدنيا لعمل الصالحات:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: 27-28].

وفي قوله: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾، إن الله يعلم طبيعتهم ويعلم إصرارهم على باطلهم ويعلم أن رجفة الموقف الرهيب الرعيب على النار هي التي انطقت ألسنتهم بهذه الأماني وهذه الوعود ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ

(1) في ظلال القرآن (5 / 3056).

وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ ويدعهم السياق في هذا المشهد البائس وهذا الرد يصفع وجوههم بالمهانة والتكذيب[1].

ـ قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأعراف: 53].

﴿يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ ﴾: أي: يوم القيامة، وما وعدوا به من العذاب والنكال والجنة والنار[2].

ـ قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: 99، 100]، إنه مشهد الاحتقار وإعلان التوبة عند مواجهة الموت وطلب الرجعة إلى الحياة لتدارك ما فات والإصلاح فيما ترك وراءه من أهل ومال وكأنما المشهد معروض اللحظة للأنظار مشهود كالعيان، فإذا الرد على هذا الرجاء المتأخر لا يوجه إلى صاحب الرجاء إنما يعلن على رؤوس الأشهاد ﴿كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ﴾ كلمة لا معنى لها ولا مدلول وراءها ولا تنبغي العناية بها أو بقائلها، إنها كلمة الموقف الرهيب لا كلمة الإخلاص المنيب، كلمة تقال في لحظة الضيق ليس لها في القلب رصيد وبها ينتهي مشهد الاحتضار، وإذا الحواجز قائمة بين قائل هذه الكلمة والدنيا جميعاً، فلقد قضي الأمر وانقطعت الصلات وأغلقت

(1) في ظلال القرآن (2 / 1067 ـ 1068).

(2) تأمل الفرق بين مطالب الظالمين في الدنيا والآخرة، ص: 35.

الأبواب وأسدلت الأستار ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ فلا هم من أهل الدنيا ولا هم من أهل الآخرة إنما في ذلك البرزخ إلى يوم يبعثون[1].

ـ قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [المؤمنون: 106-111].

وأحسن ما قيل في معنى ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ [المؤمنون: 106] غلبت علينا أهواؤنا ولذاتنا فسمى الأهواء واللذات شقوة لأنهما يؤديان إليهما ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ أي: كنا فعلنا ضالين عن الهدى وليس هذا اعتذار منهم إنما هو إقرار، ويدل على ذلك قولهم: ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ طلبوا الرجعة إلى الدنيا كما طلبوا عند الموت فَإِنْ عُدْنَا إلى الكفر فَإِنَّا ظَالِمُونَ لأنفسنا بالعودة إليه؛ فيجابون بعد ألف سنة ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾، أي: أبعدوا في جهنم[2].

ـ قال تعالى: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟

(1) مطالب الظالمين، ص: 38، في ظلال القرآن (4 / 2480. 2481).
(2) تفسير القرطبي (6 / 102. 103)، مطالب الظالمين، ص: 40.

رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾﴾ [إبراهيم: 44، 45] .

أنذرهم يوم يأتيهم ذلك العذاب المرسوم آنفاً فيتوجه الذين ظلموا يومئذ إلى الله بالرجاء يقولون: ﴿رَبَّنَا﴾ الآن وقد كانوا يكفرون به من قبل ويجعلون له أنداداً ﴿أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾ وهنا ينقلب السياق من الحكاية إلى الخطاب كأنهم ماثلون شاخصون يطلبون وكأننا في الآخرة قد أنطوت الدنيا وما كان فيها، فها هو ذا الخطاب يوجه إليهم من الملأ الأعلى بالتبكيت والتأنيب والتذكير بما فرط منهم في تلك الحياة. ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ فكيف ترون الآن؟ زلتم يا ترى أم تزولوا؟ ولقد قلتم قولتكم هذه وآثار الغابرين شاخصة أمامكم مثلاً بارزاً للظالمين ومصيرهم المحتوم ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ فكان عجباً أن تروا مساكن الظالمين أمامكم خالية منهم وأنتم فيها خلفاء، ثم تقسمون مع ذلك ﴿مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾، وعند هذا التبكيت ينتهي المشهد، وندرك أين صاروا وماذا كان بعد الدعاء وخيبة الأمل وإن هذا المثل ليتجدد في الحياة ويقع كل حين فكم من طغاة يسكنون مساكن الطغاة الذين سكنوا من قبلهم وربما يكونون قد هلكوا على أيديهم. ثم هم يطغون بعد ذلك ويتجبرون ويسيرون حذوك النعل بالنعل سيرة الهالكين، فلا تهز وجدانهم تلك الآثار الباقية التي يسكنونها والتي تتحدث عن تاريخ

الهالكين وتصور مصائرهم للناظرين، ثم يؤخذون أخذة الغابرين ويلحقون بهم، وتخلوا منهم الديار بعد حين[1].

ـ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: 36، 37].

﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ يتصارخون يفتعلون الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة ويجأرون إلى الله ﷻ بأصواتهم[2].

ـ قال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزمر: 55، 59] في قوله: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزُّمَر: 56] أي: يتحسر المجرم المفرط في التوبة والإنابة ويود لو كان من المؤمنين المخلصين المطيعين لله[3].

---

(1) ظلال القرآن (4 / 2112)

(2) مطالب الظالمين، ص: 45 ـ 46.

(3) المصدر نفسه، ص: 47.

- قال تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الشورى: 44، 45].

الظالمون كانوا طغاة بغاة فناسب أن يكون الذل مظهرهم البارز في يوم الجزاء.

إنهم يرون العذاب فيتهاوى كبرياؤهم ويتساءلون في انكسار ﴿هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ في هذه الصيغة الموجبة باليأس مع اللهفة والانهيار مع التطلع إلى بارقة للخلاص وهم يعرضون على النار ﴿خَٰشِعِينَ﴾ لا من التقوى ولا من الحياء ولكن من الذل والهوان، وهم يعرضون منكّسي الأبصار لا يرفعون أعينهم من الذل والعار ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ﴾ وهي صورة شاخصة ذليلة، وفي ظل هذا المشهد يوجه الخطاب إلى المعاندين المكابرين ليستجيبوا لربهم قبل أن يفاجئهم مثل هذا المصير فلا يجدون لهم ملجأ يقيهم ولا نصير ينكر مصيرهم الأليم[1].

- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ

(1) ظلال القرآن (5 / 3168).

خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون: 9، 11].

ـ قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: 12-14].

3 ـ طلب الانتقام من الأولياء:

قال تعالى: ﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: 38-39].

وفي قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا﴾ وتلاحق آخرهم وأولهم واجتمع قاصيهم بدانيهم بدأ الخصام والجدال[1].

ـ قال تعالى: ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ﴾ [ص: 55-61].

(1) مطالب الظالمين، ص: 65.

ـ قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [فُصِّلَت: 29].

وفي قوله: ﴿ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا﴾ أي: الشياطين على ضربين: جني وإنسي[1].

وترى الحنق والتحرق على الانتقام في قولهم: ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت: 29].

وذلك بعد المودة المخادنة والوسوسة والتزيين، هذه صلة الوسوسة والإغراء[2].

ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: 64 ـ 68].

ـ قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[البقرة: 165-167].

(1) مطالب الظالمين، ص: 70.

(2) في ظلال القرآن (5 / 3120).

أولئك الذين اتخذوا من دون الله أنداداً فظلموا الحق وظلموا أنفسهم. لو مدوا أبصارهم إلى يوم يقفون بين يدي الله الواحد، لو تطلعوا ببصائرهم إلى يوم يرون العذاب الذي ينتظر الظالمين، لو يرون لرأوا أَنَّ الْقُوَّةَ لله جَمِيعاً، فلا شركاء ولا أنداد﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾.

لو يرون إذ تبرأ المتبوعون من التابعين ورأوا العذاب، فتقطعت بينهم الأواصر والعلاقات والأسباب وانشغل كل بنفسه تابعاً كان أم متبوعاً، وسقطت الرياسات والقيادات التي كان المخدوعون يتبعونها وعجزت عن وقاية أنفسها، فضلاً عن وقاية تابعيها وظهرت حقيقة الألوهية الواحدة والقدرة الواحدة وكذب القيادات الضالة وضعفها وعجزها أمام الله وأمام العذاب ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾ [البقرة:167] وتبدي الحنق والغيظ من التابعين المخدوعين في القيادات الضالة وتمنوا لو يردون لهم الجميل لو يعودون إلى الأرض فيتبرأون من تبعيتهم لتلك القيادات العاجزة الضعيفة في حقيقتها التي خدعتهم ثم تبرأت منهم أمام العذاب. إنه مشهد مؤثر مشهد التبرؤ والتعادي والتخاصم بين التابعين والمتبوعين بين المحبين والمحبوبين وهنا يجيء التعقيب الممضي المؤلم ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة:167][1].

4 ـ طلب الاستنجاد بالشركاء والأولياء:

قال تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا

(1) في ظلال القرآن (1 / 153 ، 154).

كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم: 21-22].

وفي قوله تعالى: ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ﴾ أي: بنافعكم ومنقذكم ومخلصكم مما أنتم فيه.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ﴾ أي: بنافعي بإنقاذي مما أنا فيه من العذاب والنكال[1]. وقال القرطبي: فلا أنا بمغيثكم ولا أنتم بمغيثي، والصارخ والمستصرخ هو الذي يطلب النصرة والمعاونة، والمصرخ هو المغيث[2].

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [القصص: 62-64].

في قوله تعالى: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ والله يعلم أنه لا وجود اليوم لهؤلاء الشركاء وأن أتباعهم لا يعلمون عنهم شيئاً

(1) مطالب الظالمين، ص: 85.
(2) تفسير القرطبي (9 / 233 ، 234).

ولا يستطيعون إليهم سبيلاً، ولكنه الخزي والفضيحة على رؤوس الأشهاد ومن ثم لا يجيب المسؤولون عن السؤال فليس المقصود به هو الجواب، إنما يحاولون أن يتبرأ من جريرة إغوائهم لمن وراءهم وصدهم عن هدي الله، كما يفعل كبراء قريش مع الناس خلفهم فيقولون: ﴿رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ ربنا إننا لم نغوهم قسراً، فما كان لنا من سلطان على قلوبهم إنما وقعوا في الغواية عن رضى منهم واختيار، كما وقعنا نحن في الغواية دون إجبار تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ من جريمة إغوائهم مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ، إنما كانوا يعبدون أصناماً وأوثاناً وخلقاً من خلقك، ولم نجعل أنفسنا لهم آلهة ولم يتوجهوا إلينا نحن بالعبادة، وفي قوله: ﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ﴾ رأوه في هذا الحوار ورأوه ماثلاً وراءه، فليس وراء هذا الموقف إلا العذاب، وهنا في اللحظة التي يصل فيها المشهد إلى ذروته يعرض عليهم الهدى الذي يرفضونه وهو أمنية المتمنى في ذلك الموقف المكروب وهو بين أيديهم في الدنيا ولو أنهم إليه يسارعون لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ[1].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾ [(الكهف: 52 . 53)].

وفي قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾.

---

(1) في ظلال القرآن (5 / 2706).

والمعنى: أن الله تعالى بيَّن أنه لا سبيل لهؤلاء المشركين ولا وصول لهم إلى آلهتهم التي كانوا يزعمون في الدنيا وأنه يفرق بينهم وبينها في الآخرة، فلا خلاص لأحد الفريقين إلى الآخر، بل بينهم مهلك وهول عظيم وأمر كبير[1].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [(سبإ: 31 . 33)].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [(سبإ: 40 . 42)].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾ [غافر: 47، 48].

(1) مطالب الظالمين في الدنيا والآخرة، ص: 95.

وقال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [(الصافات: 27 . 34)].

وفي قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾، قال ابن عباس: يقولون: كنتم تقهروننا بالقدرة منكم علينا لأنّا كنا أذلاء وكنتم أعزاء[1].

5 ـ طلب الخروج من النار:

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُواْ ٱلْيَوْمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [المؤمنون: 64 ـ 67].

وفي ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾يعني حتى إذا جاء مترفيهم وهم المنعمون في الدنيا عذاب الله وبأسه ونقمته بهم:

﴿إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾ أي: يصرخون ويستغيثون. ﴿فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾، أي: إذا دعيتم أبيتم وإن طلبتم امتنعتم[2].

---

(1) مطالب الظالمين، ص: 106.

(2) المصدر نفسه، ص: 116.

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ﴾، قيل مستكبرين بالبيت يقولون: نحن أهله سامراً وكانوا يتكبرون ويسمرون فيه ولا يعمرونه ويهجرونه[1].

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [(الفرقان: 27 . 29)].

* قال تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾﴾ [ص: 3].

ومعنى قوله: ﴿فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾: نادوا بالتوحيد حين تولت الدنيا عنهم وأرادوا التوبة في غير وقتها[2].

قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [غافر: 11، 12].

وفي قوله: ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ فهل أنت مجيبنا إلى أن تعيدنا إلى الدار الدنيا، فإنك قادر على ذلك لنعمل غير الذي كنا نعمل، فإن عدنا إلى ما كنا فيه فإنا ظالمون، فأجيبوا إلى أن لا سبيل إلى عودكم ومرجعكم إلى الدار الدنيا، ثم علل المنع من ذلك بأن

(1) مطالب الظالمين، ص: 116، تفسير ابن كثير (3 / 257).
(2) تفسير ابن كثير (4 / 26)، مطالب الظالمين، ص: 127.

سجاياكم لا تقبل الحق ولا تقتضيه، بل تمجه وتنفيه، ولهذا قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ [غافر:12]. فهذا هو الذي يقودكم إلى ذلك الموقف الذليل إيمانكم بالشركاء وكفركم بالوحدانية، فالحكم لله العلي الكبير، وهما صفتان تناسبان موقف الحكم. الاستعلاء على كل شيء، والكبر فوق كل شيء في موقف الفصل الأخير[1].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [السجدة: 20، 21].

6 ـ طلب التخفيف من العذاب:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾ [غافر: 49، 50].

7 ـ طلب القضاء عليهم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الزخرف: 74 ـ 78].

---

(1) في ظلال القرآن (5 / 3072).

8 ـ طلب سقيا الماء والطعام:

قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الأعراف: 48-51].

9 ـ طلب النور:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾ [الحديد: 13، 14].

إن المنافقين والمنافقات في حيرة وضلال وفي مهانة وإهمال، وهم يتعلقون بأذيال المؤمنين والمؤمنات ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾، فحيثما تتوجه أنظار المؤمنين والمؤمنات يشع ذلك النور اللطيف الشفيف، ولكن أنّى للمنافقين أن يقتبسوا من هذا النور وعاشوا حياتهم كلها في الظلام؟ إن صوتاً يناديهم ﴿قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾، ويبدو أنه صوت للتهكم والتذكير بما كان منهم في الدنيا من نفاق ودس في الظلام: ارجعوا وراءكم إلى الدنيا إلى ما كنتم تعملون، ارجعوا فالنور يلتمس النور،

وعلى الفور يُفْصَل بين المؤمنين والمؤمنات والمنافقين والمنافقات، فهذا يوم الفصل إن كانوا في الدنيا مختلطين في الجماعة: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾، ويبدو أنه سور يمنع الرؤية، ولكن لا يمنع الصوت منها، هم أولاء المنافقون ينادون المؤمنين ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾، فما بالنا نفترق عنكم؟ ألم نكن معكم في الدنيا نعيش في صعيد واحد؟ وقد بعثنا معكم في صعيد واحد[1]؟

﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ﴾، أي: فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصي والشهوات، وتربصتم أي: أخرتم التوبة من وقت إلى وقت.

﴿وَارْتَبْتُمْ﴾ أي: بالبعث بعد الموت.

﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾ أي: قلتم سيغفر لنا وقيل: غرتكم الدنيا.

﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي: ما زلتم في هذا حتى جاءكم الموت.
﴿وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ أي: الشيطان[2].

خامساً: جملة الجرائم التي تدخل النار:

من الجرائم التي تدخل النار، الإشراك بالله تعالى، والتكذيب للرسل، والكفر، والحسد، والكذب، والخيانة، والظلم، والفواحش، والغدر، وقطيعة الرحم، والجبن عن الجهاد، والبخل،

(1) ظلال القرآن (6 / 3486).
(2) مطالب الظالمين، ص: 159.

واختلاف السر والعلانية، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، والجزع عند المصائب، الفخر والبطر عند النعم، وترك فرائض الله واعتداء حدوده وانتهاك حرماته، وخوف المخلوق دون الخالق، والعمل رياءً وسمعة، ومخالفة الكتاب والسنة في أي اعتقاد وعمل، وطاعة المخلوق في معصية الخالق، والتعصب للباطل، واستهزاء بآيات الله، وجحد الحق، والكتمان لما يجب إظهاره من علم وشهادة، والسحر، و عقوق الوالدين، و قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، و الربا، والفرار من الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات[1].

سادساً: أكبر جرائم المخلدين في النار:

إن الذي يتدبر القرآن الكريم يجد في آيات كثيرة أن الله ﷻ قد ذكر أسباب جرائم الخالدين الذين استحقوا بها الخلود في النار من أهمها:

1 ـ الكفر والشرك:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: 6].

2 ـ طاعة قرناء السوء:

قال تعالى: ﴿۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ

(1) اليوم الآخر، الجنة والنار، للأشقر، ص: 57. 58.

إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: 25-28]

3 ـ النفاق:

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة: 68].

ـ وقال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح: 6].

4 ـ الكبر:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأعراف: 36].

ـ وقال تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزمر: 72].

ـ وقال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [(غافر: 75، 76)].

5 ـ عدم القيام بالتكاليف الشرعية:

مع التكذيب بيوم الدين وترك الإلتزام بالضوابط الشرعية، فقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى أن أهل الجنة يسألون أهل النار قائلين: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾ فيجيبون قائلين: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ [المدثر: 43، 47][1].

سابعاً: أشخاص بأعينهم في النار:

ذكر الله تعالى بعض الأشخاص بأعينهم وبيّن أنهم من أهل النار، ونحن ـ كمسلمين ـ لا نشهد لأحد بعينه أنه من النار إلا من شهد الله له ورسوله[2]، ومن هؤلاء:

1 ـ فرعون وجنوده:

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [القصص: 41، 42].

ـ وقال تعالى: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: 45-46].

---

(1) الحياة في القرآن الكريم المحزون (1 / 269). اليوم الآخر، الجنة والنار للأشقر، ص: 55.

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة، ص: 466.

2 ـ قارون وهامان:

قال تعالى: ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: 39، 40].

ـ وقال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ [القَصَص: 81].

ـ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [غافر: 23-25]، فسماهم الله تعالى كافرين[1].

3 ـ إبليس وابن آدم القاتل:

أما إبليس فالآيات كثيرة ودخوله النار من المعلوم بالدين بالضرورة، بل معلوم في جميع الأديان كمثل قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحشر: 16، 17].

---

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة، ص: 467.

ـ وقال تعالى لإبليس: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: 84-85].

4 ـ امرأة نوح وامرأة لوط:

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التحريم: 10].

5 ـ كفرة الجن في النار:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: 179].

ـ وقال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ [الجن: 14، 15].

6 ـ أحد أبناء نوح:

قال تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: 42-43].

7 ـ قوم نوح:

قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ

ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ [هود:36-37].

8 ـ قوم عاد:

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾ [هود:59-60].

9 ـ قوم ثمود:

﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴾ [هود:67-68]. فحكم الله عليهم بالكفر وقد قدمنا أن أصحاب الخلود في النار هم الكفار والمشركون[1].

10 ـ قوم لوط:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود:82-83].

11 ـ قوم شعيب:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾ [هود: 94، 95].

ـ وقال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 472.

يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾﴾ [الشُّعَرَاء: 189] . وتكذيب الرسل من أنواع الكفر[1].

12 ـ بنو النضير من اليهود:

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾﴾ [الحَشر: 3] .

وقد نزلت هذه الآية في يهود بني النضير لما خانوا الرسول ﷺ وأرادوا قتله بإلقاء الحجر عليه، ولكن الله تعالى عصمه منهم، فحاصرهم النبي ﷺ وأجلاهم[2].

وهذا الحكم ليس خاصاً بيهود بني النضير، بل كل من سمع بدعوة النبي ﷺ من اليهود والنصارى ولم يسلم فهو في النار[3]، قال رسول الله ﷺ: **«والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلاّ كان من أصحاب النار»**[4].

13 ـ أبو لهب وامرأته:

قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾﴾ [المسد: 1، 5].

---

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 473.
(2) الرحيق المختوم، للمباركفوري، ص: 293.
(3) اليوم الآخر، الجنة والنار، ص: 473.
(4) مسلم، ك الإيمان، رقم: 153.

14 ـ الوليد بن المغيرة: وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا ۖ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ [المدثر: 10، 26].

جاء الوليد بن المغيرة إلى النبي ﷺ، فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالاً، قال: لم؟ قال: ليعطوكه فإنك أتيت محمداً لتعرضه لما قبله، قال: قد علمت قريش أني أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك إنك منكر له أو إنك كاره له، قال: ماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا برجز ولا بقصيدة مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو وما يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر، قال: هذا سحر يؤثر بأثره عن غيره، فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾[1].

ومن أراد التوسع لمعرفة الأشخاص الذين بأعيانهم في النار فليراجع كتاب أهل النار، ليوسف الحاج أحمد[2].

(1) اليوم الآخر، الجنة والنار، ص: 473.

(2) كتاب أهل النار ليوسف الحاج أحمد، ص: 145. 269.

المبحث الثالث
موانع إنفاذ الوعيد

تحدث العلماء عن أسباب سقوط العذاب في الآخرة وذكروها في موانع إنفاذ الوعيد والتي منها:

أولاً: التوبة: مانع من إنفاذ وعيد جميع الذنوب، ودليل ذلك الكتاب والسنة،

- قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَر: 53]، أي: لمن تاب[1].

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ﴾ [المائدة: 38، 39].

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله ﷻ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»**[2].

وقال ﷺ: **«إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»**[3].

وأما الإجماع: فقد اتفق العلماء أن التوبة من الكفر مقبولة ما لم يوقن الإنسان بالموت بالمعاينة، ومن الزنا، ومن فعل فعلة قوم

(1) تفسير الطبري (24 / 17) تفسير ابن كثير (4 / 58).
(2) مسلم (4 / 2113).
(3) صحيح الجامع الصغير للألباني (1 / 386).

لوط، ومن شرب الخمر، ومن كل معصية بين المرء وربه تعالى، مما لا يحتاج في التوبة إلى دفع مال، ومما ليس مظلمة للإنسان[1]. فالتوبة مانع شامل، يمنع إنفاذ وعيد جميع الذنوب كالكفر وما دونه، وهذا الشمول مختص بهذا المانع[2]. فالتوبة تمحو جميع السيئات، وليس شيء يغفر جميع الذنوب إلا التوبة[3].

ثانياً: الاستغفار:

دلت النصوص الشرعية على أن الاستغفار مانع من إنفاذ الوعيد، ومن هذه النصوص:

ـ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: 135-136].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: 110].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: 64].

---

(1) موانع إنفاذ الوعيد، د. عيسى السعدي، ص: 41.
(2) المصدر نفسه، ص: 41.
(3) منهاج السنة (3 / 180).

ـ وقال ﷺ: «أن عبداً أصاب ذنباً، وربما قال: أذنب ذنباً، فقال: رب أذنبت، وربما قال: أصبت، فاغفر لي، فقال ربه: أعلم عبدي له رباً يغفر الذنب ويأخذ به، غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله، ثم أصاب ذنباً أو أذنب ذنباً، فقال: رب أذنبت أو أصبت آخر فاغفره، فقال: أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذ به، غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله، ثم أذنب ذنباً، وربما قال: أصاب ذنباً، قال: رب أصبت ذنباً أو قال: أذنب آخر فاغفره لي، فقال: أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به، غفرت لعبدي، ثلاثاً، فليعمل ما شاء»[1].

وقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم»[2]. فدلت هذه النصوص المحكمة على أن الاستغفار مانع من إنفاذ الوعيد[3].

ثالثاً : الحسنات الماحية:

دلت نصوص شرعية كثيرة على أن الحسنات يمكن أن تمنع إنفاذ وعيد السيئات، والأدلة على ذلك كثيرة منها:

ـ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هُود: 114] .

ـ وعن أبي ذر ﷺ، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اتق الله

(1) البخاري، ك التوحيد (6 / 2725).
(2) مسلم، ك التوبة (4 / 2106).
(3) موانع إنفاذ الوعيد، ص: 56.

حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»[1].

ـ عن عبادة بن الصامت ﷺ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، حرم الله عليه النار**»[2].

ـ وعن عثمان بن عفان ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من أظفاره**»[3].

ـ وقال رسول الله ﷺ: «**أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً، ما تقول ذلك يبقى من درنه؟**» قالوا: لا يبقى من درنه شيئاً، قال: «**فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بها الخطايا**»[4].

ـ وقال ﷺ: «**من صام إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**»[5].

ـ وقال ﷺ: «**من حج لله فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه**»[6].

---

(1) صحيح الجامع الصغير وزيادته (81/ 1).
(2) مسلم، ك الإيمان (58/ 1).
(3) مسلم، ك الطهارة (216/ 1).
(4) البخاري، ك مواقيت الصلاة (197/ 1).
(5) مسلم، باب الترغيب في قيام رمضان (524/ 1).
(6) البخاري، ك الحج، (553/ 2).

رابعاً: دعاء المؤمنين:

النصوص الشرعية التي دلت على مشروعية الدعاء للمؤمنين، بالمغفرة والرحمة تدل قطعاً على انتفاع المدعو بدعاء إخوانه المؤمنين، ومن أهم مظاهر انتفاعه عدم إنفاذ وعيده بسبب دعاء المؤمنين واستغفارهم، ولا شك أن الدعاء بالمغفرة والرحمة لا يمكن أن يمنع إنفاذ وعيد المدعو له إذا لقي الله متلبساً بمكفّر، كالشرك الأكبر والنفاق الأكبر لئن الله أخبر في كتابه بأنه سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: 48]، كما أن النصوص الشرعية دلت على تحريم الاستغفار المطلق والمقيد بفعل معين لمن لقي الله كافراً، فقد دل على تحريم الاستغفار المطلق قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: 113].

والمقصود من هذا كله أن تحريم الاستغفار بمختلف صوره لمن لقي الله كافراً، يدل من وجه آخر على أن طلب المغفرة وما في معناها لا أثر له البتة في إسقاط وعيده، كما أن الدعاء من حيث هو لا يترتب عليه أثره، إلا إذا تحققت شروطه وانتفت موانعه، ومن شروطه كون المطلوب جائز الطلب شرعاً، ومن موانعه الاعتداء في الدعاء، وحينئذ فطلب المغفرة وما في معناها لمن لقي الله كافراً لا يمكن أن يترتب عليه أثره لتخلف شرطه ووجود مانعه[1].

---

(1) موانع إنفاذ الوعيد، ص: 100.

وأما الأدلة الشرعية على مشروعية الدعاء لأحياء المؤمنين وأمواتهم بالمغفرة والرحمة فمنها:

- قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: 19].

- وقوله: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران: 159].

- وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: 10]

- وقال ﷺ: **«قد توفي اليوم رجل صالح من الحبش فهلم فصلوا عليه»**[1].

- وقال ﷺ: **«ما من رجل مسلم يموت، فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلاّ شفعهم الله فيه»**[2].

والشفاعة للميت. أي الدعاء للميت بالمغفرة والرحمة. هي المقصود من هذه الصلاة أصالة، ولذلك أمر النبي ﷺ في صلاة الجنازة بإخلاص الدعاء للميت، فقد قال: **«إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء»**[3]، ومن دعاء النبي ﷺ للميت في صلاة الجنازة، قوله ﷺ: **«اللهم اغفر له وارحمه وعافه وأعف عنه، وأكرم نزله ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما**

(1) البخاري، ك الجنائز (443/ 1).
(2) مسلم، ك الجنائز، باب: من صلى عليه أربعون (655/ 2).
(3) مسلم، ك الجنائز (2/ 662 ـ 663).

نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله، وزوجاً خيراً من زوجه، وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار»[1].

وقال ﷺ: «إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال: أخرت شفاعتي لأهل الكبائر»[2].

فالاستغفار للمؤمنين وما في معناه إنما ينفع إنفاذ الوعيد ظناً لا قطعاً لأنه دعاء، والدعاء قد لا يستجاب، إما لتخلف شرط وإما لوجود مانع، وإما لحكمة إلٰهية لا نعلمها، ولكن جانب الإجابة أرجح لقوة دلالة النصوص، والعمل بالراجح مطلوب شرعاً، فينبغي الحرص على الدعاء للمؤمنين بالمغفرة والرحمة، والاجتهاد في ذلك، فقد يعتق الله بدعائه كثيراً من أهل البلاء والمحنة في البرزخ أو في الآخرة، قال تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: 85].

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ مرفوعاً: «اشفعوا تؤجروا»[3].

والشفاعة الحسنة تشمل الشفاعة للناس في قضاء حوائجهم، والدعاء لهم بخير الدنيا والآخرة وغير ذلك، فمن شفع لينفع كان له نصيب من الأجر، ومن دعا لأخيه بظهر الغيب أمّن الملك على دعائه، وقال: ولك بمثل[4].

---

(1) مسلم، ك الجنائز (2/ 662 ـ 663).
(2) مجمع الزوائد للهيثمي (211/ 10). رواه البزار اسناده جيد.
(3) البخاري، ك الزكاة، رقم: 1432.
(4) تفسير القرطبي (5 / 295).

خامساً: إهداء القربات:

دلت النصوص الشرعية على أن الجزاء ثواباً أو عقاباً إنما يترتب على عمل الإنسان وعلى ما هو من آثار عمله.

ـ قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البَقَرَة: 286].

ـ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ [الأنعام: 164].

ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ [يس: 12]. أي نكتب أعمالهم التي باشروها بأنفسهم وآثارهم التي آثروها من بعدهم، فنجزيهم على ذلك، إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشر[1].

ـ وقال رسول الله ﷺ: **«من سن في الإسلام سنة حسنة، فعمل بها من بعده، كتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيئاً، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، فعمل بها من بعده، كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء»**[2].

ـ وقال رسول الله ﷺ: **«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»**[3].

---

(1) تفسير ابن كثير (3 / 565).
(2) مسلم، ك العلم (4 / 2059).
(3) مسلم، ك العلم (4 / 2060).

- وقال ﷺ: «**لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل**»[1].

- وقال ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلاَّ من ثلاث: إلاَّ من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[2].

وأما عمل الآخرين وما نشأ عنه من آثار فإن مقتضى دلالة هذه النصوص عدم مؤاخذة الإنسان عليه إن كان شراً، وعدم استحقاق ثوابه إن كان خيراً، وقد نص على هذا المعنى صراحة قوله سبحانه: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النجم: 38 . 39].

وهذه الآية الكريمة لا تعني أن الإنسان لا ينتفع بعمل غيره، وإنما تعني أن الإنسان لا يستحق عمل غيره[3]، فظاهر الآية أن الإنسان ليس له إلاَّ سعيه، وهذا حق، فإنه لا يملك ولا يستحق إلا سعي نفسه، وأما سعي غيره فلا يملكه ولا يستحقه، لكن هذا لا يمنع أن ينفعه الله ويرحمه به، كما أنه دائماً يرحم عباده بأسباب خارجة عن مقدورهم[4]، وقد دلت النصوص الشرعية على مطلق الانتفاع بعمل الآخرين ومن ذلك ما رواه البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن سعد بن عبادة رضي الله عنه، توفيت أمه وهو غائب عنها فقال: يا رسول الله، إن أمي توفيت وأنا غائب عنها أينفعها شيء إن

(1) البخاري، ك حديث الأنبياء (3 / 1213).
(2) مسلم، ك الوصية (3 / 1255).
(3) موانع إنفاذ الوعيد، ص: 113.
(4) مجموع الفتاوى لابن تيمية (7 / 499).

تصدقت به عنها؟ قال: «نعم» قال: فإنني أشهدك أن حائطي المخراف[1]، صدقه عليها[2]. ومعنى: نفع الميت بالصدقة عنه، تنزيله منزلة المتصدق، بحيث تقع الصدقة نفسها عن الميت ويكتب له ثوابها[3].

وهناك نصوص شرعية تدل على الانتفاع بعمل الآخرين في إسقاط هذه الحقوق إجمالاً وتفصيلاً، أما الدليل الإجمالي فيما رواه البخاري بسنده عن ابن عباس ﷺ، أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي نذرت أن تحج، فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها، قال: « **نعم، حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ أقضوا الله فالله أحق بالوفاء**»[4]، والحديث وإن ورد على سبب خاص، وهو الحج إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب على المعتمد من أقوال أهل العلم، ولذلك قال ابن حجر: ويلتحق بالحج كل حق ثبت في ذمته، من كفارة أو نذر أو زكاة أو غير ذلك[5].

وأما الأدلة التفصيلية فمنها:

ـ عن عائشة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من مات وعليه صيام صام عنه وليه**»[6].

---

(1) المخراف: المكان المثمر: والحائط: البستان.
(2) البخاري، ك الوصايا (1013/ 3).
(3) نهاية المحتاج للرملي (92/ 6).
(4) البخاري (2/ 656،657).
(5) فتح الباري (66/ 4).
(6) البخاري، ك الصوم (690/ 2).

ـ وعن ابن عباس ﷺ، قال: استفتى سعد بن عبادة رسول الله ﷺ في نذر كان على أمه، توفيت قبل أن تقضيه، قال رسول الله ﷺ: «**فاقضه عنها**»[1].

ـ وعن بريدة ﷺ، قال: بينما أنا جالس عند رسول الله ﷺ إذ أتته امرأة فقالت: إني تصدقت على أمي بجارية، وإنها ماتت، قال: فقال: «**وجب أجرك، وردها عليك الميراث**»، قالت: يا رسول الله إنه كان عليها صوم شهر فأصوم عنها؟ قال: «**صومي عنها**» قالت: إنها لم تحج قط، أفأحج عنها؟ قال: «**حجي عنها**»[2]. أما الحقوق التي للناس، كالدين فقد دل على الانتفاع بعمل الآخرين في إسقاطها النص والإجماع.

ـ أما النص فما رواه البخاري بسنده عن سلمه بن الأكوع، أن النبي ﷺ أتى بجنازة ليصلي عليها، فقال: «**هل عليه دين؟**» قالوا: لا فصلى عليه، ثم أتى بجنازة أخرى فقال: «**هل عليه من دين؟**» قالوا: نعم، قال: «**صلوا على صاحبكم**». قال أبو قتادة: عليّ دينه يا رسول الله، فصلى عليه[3].

وأجمع المسلمون على أن قضاء الدين يسقطه من ذمة الميت، ولو كان من أجنبي، أو من غير تركته، .. وأجمعوا على أن الحي إذا كان له في ذمة الميت حق من الحقوق فأحله منه أنه ينفعه ويبرأ منه،

(1) مسلم، ك النذر (1260/ 3).
(2) مسلم، ك الوصايا (805/ 2).
(3) البخاري، ك الكفالة (803/ 2).

كما يسقط من ذمة الحي[1]، ومن كل ما سبق يتبين أن النصوص الشرعية دلت على جواز إهداء القربات في الجملة[2]، وأن الميت يمكن أن ينتفع بكل ما يهدى إليه من قربات عدا القربات التي يتعين أن يفعلها العبد بنفسه، كالإيمان والتوبة[3].

سادساً: الشفاعة في أهل الكبائر:

الشفاعة المقبولة يمكن أن تمنع إنفاذ وعيد المعين من أهل الكبائر ظناً لا قطعاً والشفاعة المقبولة هي التي انتظمت فيها شروط القبول، وهي ثلاثة:

ـ إذن الله في الشفاعة ودليله قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البَقَرَة: 255].

ـ رضاه عن الشافع ودليله قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طٰه: 109]. أي إلا شفاعة من أذن له الرحمن[4].

ـ رضاه عن المشفوع له، ودليله قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبيَاء: 28]. وأهل رضا الله هم أهل التوحيد، ولو كانوا أهل كبائر[5].

---

(1) كتاب الروح، لابن القيم، ص: 165.
(2) موانع إنفاذ الوعيد، ص: 117.
(3) المصدر نفسه، ص: 129.
(4) فتح القدير للشوكاني (3/ 387).
(5) المصدر نفسه (3/ 406).

وقد دل على هذه الشروط مجتمعة قوله تعالى: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ۝٢٦﴾ [النجم: 26] ، أي الشافع والمشفوع له[1].

سابعاً: المصائب المكفرة:

المصائب اسم جامع للآلآم التي تلحق بالإنسان نفسية كانت أو عضوية وهذه الآلآم إما أن تكون قدرية وإما أن تكون شرعية، أما الآلآم القدرية فتنقسم باعتبار المكان الذي تقع فيه إلى ثلاثة أقسام:

- آلام دنيوية، كنقص الأموال والأنفس والثمرات.

- آلام برزخية، وهي ما يكون في القبر من الفتنة والضعطة والروعة.

- آلام أخروية، وهي ما يكون في عرصات القيامة من الأهوال والكربات والشدائد[2].

وقد دلت النصوص الشرعية بعمومها على أن هذه الآلام مما يكفر الله به الخطايا ومن هذه الأدلة:

- قال رسول الله ﷺ: **«ما من مصيبة تصيب المسلم إلاَّ كفر الله بها عنه، حتى الشوكة يشاكها»**[3].

---

(1) تفسير السعدي (191/ 5).

(2) موانع إنفاذ الوعيد، ص: 160.

(3) البخاري ك المرضى (2137/ 5) .

ـ وقال رسول الله ﷺ: «**ما يصيب المسلم من نصب**[1] **ولا وصب**[2] **ولا هم ولا حزن، ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلاَّ كفّر الله بها عن خطاياه**»[3].

ـ وقال ﷺ: «**ما من مسلم يصيبه أذى مرض فما سواه، إلاَّ حط الله له سيئاته كما تحط الشجرة ورقها**»[4].

ـ وقال رسول الله ﷺ: «**لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلاَّ تحلة القسم**»[5].

ـ وقد ذهب الجمهور من أهل العلم إلى أن نفس المصائب مكفرات ومثيبات، واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ [التوبة: 120].

فرتب الله سبحانه الأجر على جملة أمور، منها ما هو من المصائب، كالنصب، فدل ذلك على أن الإنسان يؤجر على المصائب نفسها[6]، وقال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يشاك شوكة**

---

(1) نصب: تعب.
(2) وصب: هو المرض.
(3) البخاري، ك المرضى (5/2137).
(4) البخاري، ك المرضى (5/2139).
(5) البخاري، ك الجنائز (1/422).
(6) موانع إنفاذ الوعيد، ص: 157.

فما فوقها إلا كتب له بها درجة، ومحيت عنه بها خطيئة»[1].

إن ما يحصل للمؤمن في الدنيا والبرزخ والقيامة من الآلآم التي هي عذاب، فإن ذلك مما يكفر به خطاياه[2].

وأما الآلام الشرعية فهي الحدود والتعزيرات لأنها زواجر وجوابر معاً، أما إنها زواجر عن ارتكاب المحظورات وترك المأمورات، فالأمر فيها ظاهر، ولذا قال الله تعالى في الزانية والزاني: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: 2] ، وذلك للتغليظ في زجرهما عن المعاودة، ولزجر الناس عن فعلهم، وأما إنها جوابر بمعنى أن مجرد فعلها مكفر لذنب المعاقب دون حاجة إلى مكفر آخر فدليله ما رواه عبادة بن الصامت ﷺ، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في مجلس، فقال: **«تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تزنوا، ولا تسرقوا، ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلاّ بالحق، فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب شيئاً من ذلك فستره الله عليه فأمره إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه»**[3].

فدل الحديث على أن العقاب مكفر للذنب بمجرد فعله وهذا يعم العقوبات الشرعية المقدرة وهي: الحدود، وغير المقدرة وهي التعزيرات[4].

---

(1) مسلم، ك البر، (4/ 1991).
(2) مجموع الفتاوى (24/ 375).
(3) مسلم، ك الحدود (3/ 1333).
(4) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ص: 161.

ثامناً: العفو الإلهي:

دلت النصوص الشرعية المتواترة دلالة قطعية على أن الله تعالى عفوٌّ غفور، يتجاوز عما يستحقه المذنبون من العقاب منها:

ـ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الرّعد: 6].

ـ وقال تعالى: ﴿وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّئَاتِ﴾ [الشورى: 25].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [المائدة: 15].

ـ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج: 60].

ـ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النّساء: 43].

وهذه النصوص، وما في معناها، تدل قطعاً على أن العفو الإلٰهي من موانع إنفاذ الوعيد[1]، ولكن لا يمكن أن يمنع إنفاذ وعيد الكفر قطعاً، ودليل هذا الأصل القرآن والسنة، فالقرآن الكريم يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النّساء: 48].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: 72].

وأما السنة فقد قال رسول الله ﷺ: **«من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار»**[2].

---

(1) موانع إنفاذ الوعيد، ص: 175.

(2) البخاري، ك، التفسير (4 / 1636)

ولا خلاف بين المسلمين أن المشرك إذا مات على شركه لم يكن من أهل المغفرة[1].

والعفو الإلٰهي يمكن أن يمنع إنفاذ وعيد أهل الكبائر، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: 48]، أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه عليه، ما لم تكن كبيرته شركاً بالله[2].

وعن ابن عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه ﷻ حتى يضع عليه كنفه[3]، فيقرره بذنوبه فيقول: هل تعرف؟ فيقول: أي ربي أعرف، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم»**[4].

وعن أنس ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»**[5].

المبحث الرابع
الجنة

أولاً: الطريق إلى الجنة:

إن بداية الطريق إلى الجنة هو أن تتذكر الغاية التي خلقنا الله

---

(1) فتح القدير (1 / 475) موانع إنفاذ الوعيد، ص: 176.
(2) تفسير الطبري (5 / 126).
(3) كنفه: ستره.
(4) مسلم، ك التوبة (4 / 2120).
(5) سنن الترمذي، ك الدعوات (5 / 548) إسناده حسن.

تعالى لأجلها حيث قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾ [الذاريات: 56، 57].

ومعنى الآية أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب، وأخبر أنه غير محتاج إليهم، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، فهو خالقهم ورازقهم، وفي الحديث القدسي: «يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسد فقرك»[1].

فالله ﷻ ما خلق العباد إلاَّ لغاية واحدة وهي أن يعبدوه سبحانه وهذا يقتضي أن يحرص العبد أن تكون كل أعماله بل كل حياته عبادة لله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: 162، 163].

والعبادة الشاملة المطلوبة هي ألا تتقدم بين يدي الله ورسوله بقول أو فعل تفعله من عند نفسك، قبل أن تعلم حكم الله وحكم الرسول ﷺ فيه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ [الحُجرَات: 1].

فمن العبادة هي المتابعة التامة لكل ما جاء عن النبي ﷺ من الأقوال والأفعال، مع الإخلاص في ذلك لله رب العالمين[2].

---

(1) السلسلة الصحيحة للألباني، رقم: 1359، وتفسير ابن كثير لسورة الذاريات آية، 56 ـ 57.

(2) موسوعة الدار الآخرة، د. عبد الحميد هنداوي، ص: 494.

فالمتابعة التامة للنبي ﷺ هي الكفيلة بتحقيق منزلة العبودية التامة لله رب العالمين، مع الوفاء بحاجتنا البشرية على أكمل وجه ممكن[1].

ولا بد لدخول الجنة من عمل، فالعمل ركن من أركان الإيمان، وقد نص الله تعالى في مواضع كثيرة أن العمل سبب لدخول الجنان، كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزخرف: 72].

- وقال تعالى: ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 43].

والقرآن يذكر كثيراً أن أصحاب الجنة هم المؤمنون الذين يعملون الصالحات، فالإيمان هو ما في القلب، والعمل الصالح هو ما ظهر على الجوارح، فهو جمع بين العقيدة والشريعة أو الإيمان والإسلام، أو عمل الباطن (القلب) وعمل الظاهر (الجوارح) فلا يكفي أحداهما عن الآخر، فمن آمن ولم يعمل فهو كاذب في إيمانه إذ لو آمن حقاً لظهر على جوارحه أثر الإيمان بالأعمال الصالحة، ومن عمل الصالحات من غير إيمان فإنها لا تنفعه، إذ شرط قبول الأعمال تقدم الإيمان، كما في حديث عائشة قالت: قلت: يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل رحمه، ويطعم المسكين، فهل ذلك نافعه؟ قال: «**لا ينفعه إنه لم يقل يوماً رب أغفر لي خطيئتي يوم الدين**»[2]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال

(1) موسوعة الدار الآخرة، د. عبد الحميد هنداوي، ص: 494.
(2) مسلم، ك الإيمان، رقم: (214).

رسول الله ﷺ: «**إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة يعطى بها في الدنيا، ويجزي بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها**»[1].

إذن لابد للجنة من إيمان وعمل صالح، فمن كان عنده هذان الشرطان استحق بعد ـ رحمة الله ـ الجنة[2]، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [البَقَرَة: 82].

ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الأحقاف: 13، 14].

وقد فصل لنا الله تعالى بعض أنواع الأعمال الصالحة، فمن ذلك:

1 ـ التوبة:

قال تعالى: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾﴾ [مريم: 59، 60].

2 ـ تزكية النفس:

قال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ [طه: 76].

---

(1) مسلم، ك، صفة القيامة والجنة والنار، رقم: 2808.

(2) اليوم الآخر، د. المطيري، ص: 537.

3 ـ التقوى:

قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ [مريم: 63].

4 ـ الصبر في البأساء والضراء:

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: 214].

5 ـ الجهاد في سبيل الله:

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران: 142].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الصف: 10، 12].

6 ـ الشهادة:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾ [محمد: 4، 6].

7 ـ الابتعاد عن الكبائر:

قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ

سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [النساء: 31].

8 ـ إقام الصلاة والإنفاق في سبيله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: 22-24].

9 ـ التوكل على الله:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [العنكبوت: 58، 59].

10 ـ قيام الليل:

قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: 16، 17].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات: 15، 19].

11 ـ خوف الله:

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: 40، 41].

وهذه بعض الآيات التي جمعت الكثير من الأعمال الصالحة[1].

ـ من سورة المؤمنون:

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: 1، 11].

ـ من سورة الفرقان:

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ

(1) اليوم الآخر، المطيري، ص: 537 ـ 540.

إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَـٰمًا ﴿٧٥﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [الفرقان: 63-76].

ـ من سورة التوبة:

قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [التوبة: 111، 112].

ـ من سورة ق:

قال تعالى: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا

بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: 31، 35].

ـ من سورة المعارج:

قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المعارج: 22-35].

ـ من سورة آل عمران:

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: 133-136].

وعموماً فكل طاعة لله ورسوله هي من الأعمال الصالحة وهي سبب لدخول الجنة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ

تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: 17].

وهذا في القرآن كثير، ومداره على ثلاث قواعد: إيمان، وتقوى، وعمل خالص لله على موافقة السنة، فأهل هذه الأصول الثلاثة هم أهل البشرى دون عداهم من سائر الخلق، وعليها دارت بشارات القرآن والسنة جميعها والتي تجتمع في أصلين:

إخلاص في الطاعة، وإحسان إلى خلقه.

وضدها يجتمع في الذين يراءون ويمنعون الماعون، وترجع إلى خصلة واحدة وهي موافقة الرب تبارك وتعالى في محابه، ولا طريق إلى ذلك إلاَّ تحقيق القدوة ظاهراً وباطناً برسول الله ﷺ.

وأما الأعمال التي هي تفاصيل هذا الأصل، فهي بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، وبين هاتين الشعبتين سائر الشعب التي مرجعها تصديق الرسول ﷺ في كل ما أخبر، وطاعته في جميع ما أمر استحباباً وإيجاباً[1].

وأما الأعمال التي هي سبب لدخول الجنة الواردة في السنة فالأحاديث فيها أكثر من أن تحصر[2].

ثانياً: هل الجنة ثمناً للعمل:

الأعمال لاشك أنها سبب لدخول الجنة، ولكن الجنة أعظم

(1) حادي الأرواح، لابن القيم، ص: 444.

(2) انظر: موجبات الجنة لمعمر عبد الوهاب الأصبهاني، وتمام المنة ببيان الخصال الموجبة للجنة للإدريسي.

من أعمالنا، ولا يمكن لأعمالنا أن تدرك بذاتها الجنة، لذلك فإن الله برحمته يدخل المؤمنين الجنة ويجعلها من نصيبهم مع تقصيرهم في العمل لها، وكيف لهم أن يدركوا هذا الفضل وأصل هدايتهم إلى العمل الصالح من الله، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: 43].

ثم إن الله تعالى يكرمهم ويجازيهم على هذه الهداية ـ التي أعطاهم إياها ـ بجزاء عظيم جداً وهي الجنة، فكيف يمكن لأعمالهم أن تدرك هذا الجزاء الذي الفضل فيه لله أولاً وآخراً[1]، وقال رسول الله ﷺ: **«لا يدخل أحدكم الجنة بعمله»**، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: **«ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة من فضله»**[2]، وعن عائشة زوج النبي ﷺ أنها كانت تقول، قال رسول الله ﷺ: **«سددوا وقاربوا وأبشروا فإنه لن يُدْخِلَ الجنة عمله»**[3]، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: **«ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة، واعلموا أن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل»**[4]. وعن جابر ﷺ قال سمعت النبي ﷺ يقول: **«لا يدخل أحداً منكم عمله الجنة ولا يجيره من النار ولا أنا إلا برحمة من الله»**[5]، وهو حديث متواتر[6].

---

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 542.
(2) البخاري، ك المرضى، رقم: 5349.
(3) البخاري ك الرقاق، رقم: 2818.
(4) المصدر نفسه، رقم: 2818.
(5) مسلم، ك، صفة القيامة والجنة والنار، رقم: 2817.
(6) نظم المتناثر من الحديث المتواتر، للكتاني، ص: 201.

وأما قوله تعالى: ﴿تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 43]، وقوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: 17]، فلا تعارض بينها وبين الحديث لأن الآية تدل على أن العمل سبب، والحديث يدل أن الأعمال ليست ثمناً للجنة، ولابد من رحمة الله تعالى حتى يبلغوا هذا العطاء العظيم[1].

ثالثاً: أول وآخر من يدخل الجنة:

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الواقعة: 10 ـ 12].

السابقون هم المبادرون إلى فعل الخيرات، فالسابقون إليها في الحياة الدنيا هم السابقون إلى الجنة في الحياة الآخرة، ثم يلي السابقين أصحاب اليمين الأبرار الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم، منزلتهم دون المقربين، فهم أقل درجة في النعيم من السابقين[2].

قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: 27-40]، ولا شك أن رسولنا محمداً ﷺ أول السابقين، وأنه أول من تفتح له الجنة، وتدخل أمته

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 543.
(2) الحياة في القرآن الكريم (2 / 627).

بعده، وهي أول الأمم دخولاً الجنة، وقد دل على ذلك أحاديث كثيرة منها[1]:

ـ عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة»**[2].

ـ وقال رسول الله ﷺ: **«آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد، فيقول بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك»**[3].

ـ وقال رسول الله ﷺ: **«نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة»**[4]، وأما آخر من يدخل الجنة، فقد ذكر رسول الله ﷺ حديثاً عن ذلك، فقال: **«إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولاً، رجل يخرج من النار حبواً، فيقول الله: اذهب فأدخل الجنة، فيأتيها فيُخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا ربّ وجدتها ملأى فيقول: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيُخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل عشرة أمثال الدنيا، فيقول: تسخر مني أو تضحك مني، وأنت الملك؟»** قال الراوي عبد الله بن مسعود: فلقد رأيت رسول الله ﷺ. ضحك حتى بدت نواجذه، وكان يقال: ذلك أدنى أهل الجنة منزلة[5].

---

(1) الحياة في القرآن الكريم (2 / 627).
(2) مسلم، ك الإيمان، رقم: 331.
(3) المصدر نفسه: 333.
(4) مسلم بشرح النووي (6 / 143).
(5) البخاري، ك الرقاق، رقم: 6571.

رابعاً: الذين يدخلون الجنة بغير حساب:

أول زمرة تدخل في هذه الأمة الجنة هم القمم الشامخة في الإيمان والتقى والعمل الصالح والاستقامة على الدين الحق يدخلون الجنة صفاً واحداً، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، صورهم على صورة القمر ليلة البدر، وقال رسول الله ﷺ: **«أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر[1]، لا يبصقون فيها، ولا يمتخطون ولا يتغوطون، آنيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب رجل واحد، يسبحون بكرة وعشياً»[2].**

وقال رسول الله ﷺ: **«أعطيت سبعين ألفاً من أمتي يدخلون بغير حساب، وجوههم كالقمر ليلة البدر، قلوبهم على قلب رجل واحد، فاستزدت ربي ﷻ فزادني مع كل واحد سبعين ألفاً»[3].**

وقد وصف الرسول ﷺ السبعين ألفاً الأوائل وبيّن علاماتهم، قال النبي ﷺ: **«عرضت عليّ الأمم فأخذ النبي يمر معه الأمة، والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده، فنظرت فإذا سواد كثير. قال: هؤلاء أمتك وهؤلاء سبعون ألفاً قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب، قلت: ولم؟ قال: كانوا لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم**

(1) اليوم الآخر، الجنة والنار، للأشقر، ص: 123.
(2) فتح الباري (6 / 318).
(3) صحيح الجامع (1 / 350) رقمه: 1068.

يتوكلون»، فقام إليه عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: **«اللهم اجعله منهم»**، ثم قام إليه رجل فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: **«سبقك بها عكاشة»**[1].

خامساً: أسماء الجنة:

الجنة هي دار كرامة الله التي أعدها لعباده المتقين، ولها أسماء كثيرة فمنها:

1 ـ الجنة:

وهو الاسم المشهور لها، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [الحشر: 20].

2 ـ جنة الخلد:

قال تعالى: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾ [الفُرقان: 15]، وسميت بذلك لخلود أهلها فيها.

3 ـ جنة النعيم:

قال تعالى: ﴿وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ [الشُّعَرَاء: 85]، وسميت بذلك لما فيها من النعيم المقيم الكريم.

4 ـ جنة المأوى:

قال تعالى: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [النَّجم: 15]. وسميت بذلك لأنها مأوى المؤمنين.

---

(1) فتح الباري (11 / 405).

5 ـ جنات عدن:

قال تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾﴾ [صٓ: 50] . فهي درجة من درجات الجنة.

6 ـ دار السلام:

قال تعالى: ﴿۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأنعام: 127] .

ـ وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس: 25] . وسميت بذلك لأمور منها:

ـ لأنها سالمة من كل المنغصات والمكدرات ومن كل بلية وآفة.

ـ لأنها دار السلام، ومن أسمائه «السلام»، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: 23]. فهي دار السلام، يعني دار الله، فهو سبحانه الذي سلمها وسلم أهلها.

ـ ولأن: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [إبراهيم: 23] ، ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: 44].

ـ وأول ما تستقبلهم به خزنة الجنة هو السلام: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا

خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر: 73]. قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾[الرعد: 23، 24] والرب يسلم عليهم من فوقهم ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: 57، 58].

ـ كلامهم فيها سلام، أي لا لغو فيها ولا فحش ولا باطل لا يقولونه ولا يسمعونه، وقال تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾﴾ [مريم: 62].

وقل تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾﴾ [النبإ: 35]، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الواقعة: 25، 26].

7 ـ دار المتقين:

قال تعالى: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: 30]، وسميت لأنهم أهلها.

8 ـ دار الآخرة:

قال تعالى: ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: 109].

والغالب أن تذكر بلفظ التعريف للدار، فيقال: ﴿ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾ [البقرة: 94].

ـ قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: 83].

9 ـ الحسنى:

قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: 26] [1].

وقال ﷺ: «الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الرحمن»[2].

10 ـ دار المقامة:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: 34-35]. دار المقامة يعني: دار الإقامة[3].

ولو توسعنا في هذا لذكرنا أسماء كثيرة مثل «المدخل الكريم» المأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: 31] ﴿لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ المأخوذ من قوله تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ [ص: 49-50][4].

11 ـ الفردوس:

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: 9-11].

---

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 523 إلى 526.
(2) نظم المتناثر من الحديث المتواتر، للكتاني، ص: 253.
(3) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 528.
(4) المصدر نفسه، ص: 528.

سادساً: صفة الجنة:

مهما كتب الكتّاب والأدباء، وتخيّل المتخيلون، وأبدع المبدعون وصفاً للجنة، فلن نجد مثل وصف القرآن الكريم ونبيه الكريم لحقيقتها، فقد وصفها الله ﷻ بأمور منها:

1 ـ أبواب الجنة:

ـ قال تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ [ص: 49-50].

ـ وقال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: 23، 24].

ـ وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: 73].

ـ وقال ﷺ: **«في الجنة ثمانية أبواب، فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون»**[1].

ـ وقال ﷺ: **«من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق والنار حق، أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء»**[2].

---

(1) فتح الباري (6 / 378).

(2) مسلم، ك الإيمان، رقم: 46.

ـ وقال رسول الله ﷺ: «**من أنفق زوجين[1] في سبيل الله نُودي في الجنة يا عبد الله، هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان**»، قال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، ما على أحد يُدعى من تلك من ضرورة، فهل يُدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال رسول الله ﷺ: «**نعم وأرجو أن تكون منهم**»[2].

2 ـ قصور الجنة وخيامها:

لقد بنى الله سبحانه في الجنة مساكن طيبة للإقامة المطمئنة الخالدة، وقد سمى الله ﷻ في مواضع من كتابه العزيز هذه المساكن بالغرفات، وهي القصور التي من فوقها غرف مبنية محكمة مزخرفة[3] عالية، كما أن الغرفة أكرم من البهو فيما اعتاد الناس في البيوت في هذه الحياة الدنيا عندما يستقبلون الضيوف، وأن في الجنة خياماً عجيبة فهي من درة مجوفة، وفي ذلك يقول سبحانه في آيات كثيرة منها:

ـ قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: 72].

---

(1) زوجان: كل شيء قرن لصاحبه فهو زوجان.

(2) مسلم، ك الزكاة، شرح النووي (7 / 115.116).

(3) تفسير ابن كثير (4 / 46).

ـ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سبأ: 37].

ـ وقال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ [الفرقان: 75، 76].

ـ وقال تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الزمر: 20].

ـ وقوله سبحانه في خيامة الجنة: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمٰن: 72]، إشارة إلى معنى في غاية اللطف، وهو أن المؤمن في الجنة لا يحتاج إلى التحرك لشيء، وإنما الأشياء تتحرك إليه، فالمأكول والمشروب يصل إليه من غير حركة منه ويطاف عليهم بما يشتهونه، فالحور يكنّ في بيوت. والعرب يمدحون النساء الملازمات للبيوت للدلالة على شدة الصيانة[1]، وعند الانتقال إلى المؤمنين في وقت إرادتهم تسير بهم للارتحال إلى المؤمنين خيام، وللمؤمنين قصور تنزل الحور من الخيام إلى القصور[2]، وقد وصف رسولنا ﷺ، قصور الجنة، حين دلنا على صفات بعض قصور أصحابه، فقال: أتى جبريل النبي ﷺ. فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدم أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك

(1) تفسير المراغي (9/ 129).
(2) التفسير الكبير (29/ 118).

فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرّها ببيت في الجنة من قَصَب[1]، لا صخب فيه ولا نصب[2][3].

ـ وقال رسول الله ﷺ: «**دخلت الجنة فرأيت فيها داراً أو قصراً، فقلت، لمن هذا؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب، فأردت أن أدخل فذكرت غيرتك**»، فبكى عمر وقال: أي رسول الله، أو عليك يغار[4].

وقد وصف النبي ﷺ خيام الجنة بأنها درة مجوفة طولها في السماء ثلاثون ميلاً، عن أبي بكر الأشعري عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «**الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ثلاثون ميلاً، في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون**»[5].

3 ـ أشجار الجنة وثمارها:

وصفت الجنة بأنها البستان المحفوف بالشجر، المتكاثف بالأعناب والنخيل والرمان، حيث الجمال الرائع والأشجار المتدانية القطوف الوفيرة الأثمار وقد حفل القرآن الكريم بشواهد لهذا الصنف من الخير والجمال، فقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾﴾[النبإ: 31، 32].

---

(1) المراد به لؤلؤة مجوفة واسعة كالقصر المنيف.
(2) الصخب: الصياح والمنازعة برفع الصوت والنصب: التعب.
(3) البخاري، ك مناقب الأنصار، رقم: 3821.
(4) مسلم، ك فضائل الصحابة شرح النووي (15/ 163).
(5) صحيح البخاري، رقم: 3243 فتح الباري (6/ 366).

وإلى جانب هذه الحدائق والأعناب هناك فاكهة كثيرة متنوعة ومنها ثمر النخيل والرمان ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الرَّحمٰن: 68] كما أن من أشجار الجنة السدر المخضود الذي لا شوك فيه، بخلاف سدر الدنيا، فإنه كثير الأشواك، قليل الثمر، وفي الآخرة على العكس، وأن من أشجار الجنة الطلح[1] المنضود الذي هو يشبه طلح الدنيا، ولكن له ثمر أحلى من العسل، وأنه متراكم الثمر[2]، وقال تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: 27-33].

وفواكه الجنة لا تحجب عن مؤمن فضلاً عن كل معين يطلبه، وإذا كان قد ذكر بعض أنواع الفواكه فإن ما يحبه المؤمن من فاكهة يعرفها، له أن يدعو ليجد بغيته أمامه، قال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾﴾ [ص: 51] وقال: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الواقعة: 20].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [المرسلات: 41 43].

وأشجار الجنة دائمة العطاء، فهي ليست كأشجار الدنيا تعطي في وقت دون وقت، وفصل دون فصل، بل هي دائمة الإثمار والظلال، وهي نعمة تطمئن لها النفس وتستريح[3]، قال تعالى:

(1) الطلح: الموز: واحدتها طلحة.
(2) تفسير ابن كثير (4/ 253).
(3) الحياة في القرآن الكريم (2/ 646).

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ [الرعد: 35].

وقال سبحانه: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الواقعة: 32 . 33].

ووصف الله ﷻ أشجار الجنة بأنها ذات أغصان جميلة وأنها شديدة الخضرة، وأن ثمارها قريبة دانية مذللة ينالها أهل الجنة بيسر وسهولة[1].

ـ قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾ [الرحمن: 46 . 48].

ـ وقال ﷻ: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾﴾ [الرحمن: 62 . 64].

ـ وقال سبحانه: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الرَّحمٰن: 54].

ـ وقال: ﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الحاقة: 22 . 23].

ولقد وصف الرسول ﷺ بعض أشجار الجنة بأوصاف عجيبة[2].

---

(1) الحياة في القرآن الكريم (2/ 646).

(2) المصدر نفسه (2/ 646).

أ ـ الشجرة التي يسير الراكب فيها مائة عام:

وهي الشجرة التي ذكرت في قوله سبحانه: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾، وقد فسره النبي ﷺ، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة شجرة الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، واقرأوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾**[1]، وعن سهل بن سعد، عن رسول الله ﷺ قال: «**إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها**»[2].

ب ـ سدرة المنتهى:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: 13 . 18].

وقال تعالى: ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الواقعة: 28 . 30]، فذكر في هذه الآيات ثلاث أنواع من الأشجار منها السدر، وفي قوله: ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾، مخضود أي منزوع الشوك[3]، وورد عن ابن عباس وغيره أنه قال: هو الموقر بالثمر[4]، أي المليء بالثمر، والظاهر أن المراد هذا وهذا، فإن سدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر، وفي الآخرة العكس من هذا، الأشواك فيه وفيه الثمر الكثير الذي قد أثقل أصله[5].

---

(1) البخاري، بدء الخلق، رقم: 3252.
(2) مسلم، ك الجنة وصفة نعيمها، على شرح النووي (17/ 167).
(3) لسان العرب (3 / 163).
(4) البعث والنشور، للبيهقي، ص: 172.
(5) تفسير ابن كثير (4 / 288).

ج ـ شجرة طوبى:

ومن أشجار الجنة شجرة تسمى «طوبى»، وهي كما تبين من وصفها شجرة عظيمة تصنع ثياب أهل الجنة، فعن أبي سعيد الخدري ـ ﷺ ـ عن رسول الله ﷺ أن رجلاً قال له: يا رسول الله، طوبى لمن رآك وآمن بك، قال: «**طوبى لمن رآني وآمن بي**»، **ثم طوبى، ثم طوبى، ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرآني.**» وقال له رجل: وما طوبى؟ قال: «**شجرة في الجنة، مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها**[1]».

وجميع أشجار الجنة لها ظل ظليل،، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾ [النِّساء: 57] ، والمؤمن يكثر حظه من أشجار الجنة بالإكثار من سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، قال رسول الله ﷺ: «**لقيت إبراهيم ليلة أسري بي، فقال: يا محمد، أقرئ أمتك أن الجنة أرض طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان وأن غرسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر**»[2].

وسيقان أشجار الجنة من ذهب، قال رسول الله ﷺ: «**ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب**»[3].

---

(1) الأكمام: جمع الكُم، وهو القشر، ولكل شجرة مثمرة: كم، وهو برعومته. سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، رقم: 1985.

(2) صحيح الجامع الصغير (5 / 34)، رقم: 5028.

(3) المصدر نفسه (5 / 150).

فالجنة خالدة لا تفنى ولا تبيد، وأنواع نعيمها دائمة لا تنقطع ولا تمنع، وأهلها فيها خالدون، لا يرحلون عنها ولا يظعنون، ولا يبيدون ولا يموتون[1].

ـ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ١٢٢﴾ [النساء: 122].

ـ وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ١٠٨﴾ [الكهف: 107. 108].

ـ وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ٥١ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٥٢ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٥٣ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ٥٤ يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ٥٥ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٥٦ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٥٧﴾ [الدخان: 51. 57].

4 ـ درجات الجنة:

ـ قال تعالى: ﴿وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥﴾ [طه: 75].

والجنة درجات متفاضلة تفاضلاً عظيماً وأولياء الله المتقون في تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم.

---

(1) الحياة في القرآن (2 / 648).

ـ قال تبارك وتعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 18-21]، فبين الله سبحانه وتعالى أنه يمد من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة من عطائه، وأن عطاءه ما كان محظوراً من بر ولا فاجر، ثم قال: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾، فبين الله سبحانه أن أهل الآخرة يتفاضلون فيها أكثر مما يتفاضل الناس في الدنيا وأن درجات الآخرة أكبر من درجات الدنيا[1].

وتفاضل أنبيائه عليهم السلام كتفاضل سائر عباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البَقَرَة: 253].

وقال تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آل عِمرَان: 163]، وهذه الدرجات تختلف باختلاف العمل، فكلما كان عمل الإنسان أكثر وموافقاً للسنة كان أجره أكثر ودرجته في الجنة أعلى قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأحقاف: 19].

---

(1) اليوم الآخر، الجنة والنار، للأشقر، ص: 155.

وأهل الدرجات العاليات يكونون في نعيم أرقى من الذين دونهم فقد ذكر الله أنه أعد للذين يخافون ربّهم جنتين: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرَّحمٰن: 46] ، ووصفهما ثم قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ [الرَّحمٰن: 62] ، أي دون تلك الجنتين في المقام والمرتبة، ومن تأمل صفات الجنتين اللتين ذكرهما الله آخراً، علم أنهما دون الأوليين في الفضل، فالأوليات للمقربين، والأخريات لأصحاب اليمين، قال القرطبي: لما وصف الجنتين أشار إلى الفرق بينهما، فقال في الأوليين ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمٰن:50].

وقال في الأخريين: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ [الرَّحمٰن: 66]، أي فوارتان بالماء، ولكنهما ليستا كالجاريتين، لأن النضخ دون الجري، وقال في الأوليين: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾﴾ [الرَّحمٰن: 52] معروف وغريب، رطب ويابس، فعم ولم يخص، وفي الأخريين: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الرَّحمٰن: 68] ، ولم يقل من كل فاكهة زوجان.

وقال في الأوليين: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرَّحمٰن: 54] ، وهو الديباج.

وقال في الأخريين: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾ [الرَّحمٰن: 76] ، والعبقري الوشي، ولا شك أن الديباج أعلى من الوشي، والرفرف كسر الخبا، ولا شك أن الفرش المعدة للاتكاء فيها أفضل من الخبا، وقال في الأوليين في صفة الحور العين: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ [الرَّحمٰن: 58] .

وفي الأخريتين: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الرَّحمٰن: 70]، وليس كل حسن كحسن الياقوت والمرجان.

وقال في الأوليين: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾ [الرَّحمٰن: 48]، وفي الأخريين: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾﴾ [الرَّحمٰن: 64]، أي خضراوات كأنهما من شدة خضرتهما سوداوان، ووصف الأوليين بكثرة الأغصان والأخريين بالخضرة وحدها[1].

وقد بين رسول الله ﷺ درجات الجنة فقال ﷺ: «**إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم**»، قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: «**بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**»[2].

وأعلى درجات الجنة هي الفردوس الأعلى، وقد ذكرها الله سبحانه في كتابه في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: 10 . 11]، وبين الرسول ﷺ منزلة هذه الدرجة، فقال ﷺ: «**من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة، وصام رمضان كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها**»، فقالوا: يا رسول الله أفلا نبشر الناس؟ قال: «**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض،**

(1) التذكرة للقرطبي، ص: 440، اليوم الآخر الجنة والنار للأشقر، ص: 159.
(2) البخاري، ك بدء الخلق، رقم: 3083.

فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة» قال راوي الحديث أبو هريرة ﷺ: فوق عرش الرحمن ومنه تضج أنهار الجنة[1].

والمقصود بـ«أوسط الجنة» أي عرضاً و«أعلى الجنة» أي طولاً، فهذا يدل أن الفردوس على مثل الربوة أو القبة، ويدل أن الجنة مقببة[2]. قال ابن كثير: ولا تكون هذه الصفة إلا في المقبب، فإن أعلى القبة هو أوسطها، فالجنة والله أعلم كذلك[3].

وأعلى درجات الفردوس هي الوسيلة، وهي منزلة لشخص واحد فقط هو نبينا ﷺ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: **«إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليَّ، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلاَّ لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الوسيلة حلت له الشفاعة»**[4].

5 ـ أنهار الجنة:

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البَقَرَة: 25].

ـ وقال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الكهف: 31].

---

(1) البخاري، ك التوحيد، رقم: 6987.
(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 553.
(3) صفة الجنة، للحافظ ابن كثير، ص: 31 من كتاب البداية ولنهاية.
(4) مسلم، ك الصلاة، رقم: 384.

وأنهار الجنة ليست ماء فحسب، بل منها الماء، ومنها اللبن ومنها الخمر، ومنها العسل المصفى، قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: 15].

وذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا، فآفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه، وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة وأن يصير قارصاً، وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذة شرابها وآفة العسل عدم التصفية[1]، وتأمل اجتماع هذه الأنهار الأربعة التي هي أفضل أشربة الناس، فهذا لشربهم وطهورهم ـ وهو الماء ـ وهذا لقوتهم وغذائهم ـ وهو اللبن ـ وهذا للذتهم وسرورهم ـ وهو الخمر ـ وهذا لشفائهم ومنفعتهم ـ وهو العسل[2].

ومن أنهار الجنة نهر الكوثر، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: 1]، فعن أنس، أن النبي ﷺ قال: «**هو نهر في الجنة**»، قال: قال النبي ﷺ: «**رأيت نهراً في الجنة حافتاه قباب اللؤلؤ، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله**»[3].

---

(1) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القيم، ص: 218.

(2) المصدر نفسه، ص: 219.

(3) البخاري، ك التفسير، باب سورة الكوثر، رقم: 4680.

6 ـ عيون الجنة:

في الجنة عيون كثيرة مختلفة الطعم واللذة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحجر: 45 ـ 46].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدخان: 51 52].

وبعض هذه العيون يخرج ماؤها ثم يجري على أرض الجنة، قال تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾ [الغاشية: 12] وقال في وصف الجنتين اللتين أعدهما لمن خاف مقام ربه، قال تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾﴾ [الرَّحمٰن: 50].

وقال سبحانه في وصف الجنتين اللتين دونهما: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ [الرَّحمٰن: 66]. والنضخ فوران الماء وهو أبلغ من النضح، وقد ذكر الله تعالى لنا أسماء ثلاثة منها وهي:

أ ـ عين الكافور:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الإنسان: 5، 6] فالأبرار يشربون ماء ممزوجاً بالكافور، بينما يشربه عباد الله المقربون صرفاً لا خلط فيه[1]، وقد علم ما في الكافور من التبريد والرائحة الطيبة مع

(1) اليوم الآخر في القرآن الكريم العظيم والسنة المطهرة، ص: 559.

ما يضاف إلى ذلك من اللذاذة في الجنة[1].

ب ـ عين السلسبيل:

قال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [الإنسان: 17 18] أي ويسقون ـ يعني الأبرار ـ أيضاً من هذه الأكواب ﴿كَأْسًا﴾ أي خمراً ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾، فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد وتارة بالزنجبيل وهو حار ليعتدل الأمر، وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة، وأما المقربون فإنهم يشربون من كل منها صرفاً كما قاله قتادة وغير واحد[2].

وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد، فدفعته دفعة كاد يصرع منها، فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله، فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول الله ﷺ: **«إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي»** فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال رسول الله ﷺ: **«أينفعك شيء إن حدثتك؟»** قال: أسمع بأذني، فنكت رسول الله ﷺ بعود معه فقال **«سل»** فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسمٰوات؟ فقال رسول الله ﷺ: **« هم في الظلمة دون الجسر»**، قال فمن أول الناس إجازة؟ قال: **«فقراء المهاجرين»**، قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: **«زيادة كبد النون»**، قال: فما غذاؤهم على إثرها، قال: **«ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها»**، قال: فما شرابهم عليه؟ قال: **«من عين فيها تسمى**

(1) تفسير ابن كثير (4/ 454).
(2) المصدر نفسه.

سلسبيلا»، قال: صدقت. قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان، قال: «**ينفعك إن حدثتك؟**» قال: أسمع بأذني، قال: جئت أسألك عن الولد، قال: «**ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فَعَلا مني الرجل مني المرأة أذكراً بإذن الله**»، وإذا علا مني المرأة مني الرجل آنثاً بإذن الله قال اليهودي: لقد صدقت وإنك لنبي، ثم انصرف فذهب، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه وما لي علم بشيء منه حتى أتاني الله به**»[1].

ج - عين التسنيم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [المطففين: 22-29].

قال ابن عباس: تسنيم: أشرف شراب أهل الجنة، وهو صرف للمقربين ويمزج لأصحاب اليمين[2].

7 - نور الجنة:

والجنة لها نور كما قال تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَـٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾﴾ [مريم: 62].

---

(1) مسلم، ك الحيض، رقم: 315.

(2) البدور السافرة في أحوال الآخرة، ص: 544.

في قوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾: أي في مثل وقت البكرات ووقت العشيات، لا أن هناك ليلاً ونهاراً، ولكنهم في أوقات تتعاقب يعرف مضيها بأضواء وأنوار[1].

وقد قال تعالى: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾ [الإنسان: 13]: والجنة ليس فيها شمس ولا قمر، ولا ليل ولا نهار، لكن البكرة والعشية تعرفان بنور يظهر من قبل العرش[2]. وقال القرطبي: قال العلماء: ليس في الجنة ليل ونهار، وإنما هم في نور دائم، وإنما يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب، ذكره أبو الفرج ابن الجوزي[3]. وتربة الجنة بيضاء كما جاء ذلك مصرحاً به في الحديث، فعن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ سأل ابن صائد عن تربة الجنة فقال: درمكة بيضاء مسك خالص، فقال رسول الله ﷺ: «**صدق**»[4]. درمكة البيضاء: هي الدقيق الأبيض[5].

8 ـ ريح الجنة:

للجنة رائحة عبقة زكية تملأ جنباتها، وهذه الرائحة يجدها المؤمن من مسافات شاسعة[6]، قال رسول الله ﷺ: «**من قتل رجلاً**

(1) تفسير ابن كثير (3/ 129).
(2) مجموع الفتاوى (4/ 312).
(3) الجنة والنار، للأشقر، ص: 174.
(4) مسلم، ك الفتن، رقم: 2928.
(5) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 562.
(6) اليوم الآخر الجنة والنار، للأشقر، ص: 175.

من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين[1] عاماً».

9 ـ تربة الجنة:

عن أبي هريرة قال: قلت يا رسول الله، مم خلق الخلق؟ قال: «**من ماء**»، قلنا: الجنة ما بناؤها؟ قال: «**لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها الدر الياقوت، وتربتها الزعفرانه، من يدخلها ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت، ولا يبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه**»[2].

وقال رسول الله ﷺ: «**أدخلت الجنة، فإذ فيها جنادل اللؤلؤ وإذا ترابها المسك**»[3].

10 ـ دواب الجنة وطيورها:

في الجنة دواب وطيور كثيرة، يركبها أهل الجنة ويأكلون منها ويتمتعون بالنظر إليها قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريَم: 85].

قال علي بن أبي طالب ﷺ: لا والله ما على أرجلهم يحشرون، ولا يحشر الوفد على أرجلهم، ولكن بنوق لم ير الخلائق مثلها، عليها رحائل من ذهب فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب

---

(1) صحيح الجامع (5/ 337)، رقم: 6333.

(2) مشكاة المصابيح (3/ 89) ورقمه 5630 وقال محقق المشكاة وله طرق وشواهد، وأوردة في السلسلة الصحيحة.

(3) البخاري (1/ 458 ـ 459).

الجنة[1]، وقد ثبت عن عبد الله بن عمرو ـ وهو ما له حكم الرفع ـ أن في الجنة إبلاً وخيلاً، حيث قال: في الجنة عتاق الخيل وكرائم النجائب، ويركبها أهلها[2].

وعن أبي مسعود الأنصار ﷺ قال جاء رجل بناقة مخطومة فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: **«لك بها يوم القيامة سبع مائة ناقة كلها مخطومة»**[3]، وهذه الرواية لم تنص أنها في الجنة، ولكن جاءت راوية أخرى لهذا الحديث عند الحاكم بزيادة «في الجنة» حيث قال ﷺ: **«لك بها سبعمائة ناقة مخطومة في الجنة»**[4]، وقال تعالى: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة: 21]، أي يأكلون من لحم طير يشتهونه، وعن أنس بن مالك قال: سئل رسول الله ﷺ: ما الكوثر؟ قال: **«ذاك نهر أعطانيه الله** ـ يعني في الجنة ـ **أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، فيها طير أعناقها كأعناق الجزر»**، قال عمر: إن هذه لناعمة، قال رسول الله ﷺ: **«أكلتها أحسن منها»**[5].

11 ـ الجنة لا مثل لها وأنها فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخيال:

قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا

(1) تفسير ابن كثير (3/ 137) بتصرف.
(2) صفة الجنة، لابن كثير، ص: 205، قال المحقق: رجاله ثقات.
(3) مسلم ك الإمارة، رقم: 1892.
(4) السلسلة الصحيحة للألباني (2/ 227).
(5) الترمذي، صفة الجنة، رقم: 2542، وحسنة جامع الأصول (10/ 467) حسنة الأرناؤوط.

يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السَّجدَة: 17] .

قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه: «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فاقرءوا إن شئتم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾**[1].

ولمن دخل الجنة ما يشاء من النعيم، وله كل يتمنى ويطلب، بل له فوق هذا بكثير قال تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: 30-31]، وقال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [قَ: 35] .

وما الظن بمكان موضع السوط أو القوس فيه خير من الدنيا وما فيها، فعن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ: «**موضع السوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها**»[2]، وقال رسول الله ﷺ: «**لقاب قوس في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب**» وقال: «**لغدوة أو روحة في سبيل الله خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب**»[3].

وما الظن بمكان الغمسة الواحدة فيه تنسي المعذَّب كل عذابه وشقائه في الدنيا، فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُوتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار**

(1) البخاري، ك بدء الخلق، رقم: 3072.
(2) البخاري، رقم: 3078.
(3) البخاري، ك الجهاد والسير، رقم: 2640.

صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط، هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط، هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط»[1].

سابعاً: أصحاب الجنة:

أصحاب الجنة هم المؤمنون الموحدون الذين يعملون الصالحات مع إخلاص عظيم لله ﷻ واستقامة على شريعته، ووفاء بعهودهم وعدم نقضهم لها ووصلهم ما أمر الله بوصله، وخشيتهم لله وخوفهم من سوء العذاب، وصبرهم لله وإقام الصلاة، والإنفاق سراً وعلانية، ودرئهم بالحسنة السيئة قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: 19-24][2].

---

(1) مسلم ك، صفة القيامة، رقم: 2807.

(2) الجنة والنار، للأشقر، ص: 188.

والجنة درجة عالية، والصعود إلى العلياء يحتاج إلى جهد كبير وطريق الجنة فيه مخالفة لأهواء النفوس ومحبوباتها وهذا يحتاج إلى عزيمة ماضية وإرادة قوية، قال ﷺ: «**حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره**»[1]، وهذا من بديع الكلام وفصيحة وجوامعه التي أوتيها ﷺ من التمثيل الحسن، ومعناه لا يوصل الجنة إلا بإرتكاب المكاره والنار بالشهوات وكذلك هما محجوبتان بهما فمن هتك الحجاب وصل المحجوب، فهتك حجاب الجنة باقتحام المكاره، وهتك حجاب النار بارتكاب الشهوات، فأمّا المكاره فيدخل فيها الاجتهاد في العبادة، والمواظبة عليها، والصبر على مشاقها، وكظم الغيظ، والعفو، والحلم، والصدقة والإحسان إلى المسيىء، والصبر على الشهوات، ونحو ذلك[2].

1 ـ معرفة أهل الجنة لمساكنهم:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾، أي إذا دخلوها يقال لهم: تفرقوا إلى منازلكم، فهم أعرف بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم[3].

وقال رسول الله ﷺ: «**يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقّوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي**

(1) جامع الأصول على مسلم (10/ 521)، رقم: 8069 حسن، صحيح.
(2) شرح النووي على مسلم (17/ 165).
(3) تفسير القرطبي (16/ 153).

نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله الذي كان في الدنيا»[1].

2 ـ هل الرجال أكثر في الجنة أم النساء؟

تخاصم الرجال والنساء في هذا والصحابة أحياء، ففي صحيح مسلم عن ابن سيرين قال: اختصم الرجال والنساء: أيهم أكثر في الجنة؟ وفي رواية: إمّا تفاخروا وإمّا تذاكروا: الرجال في الجنة أكثر أم النساء؟ فسألوا أبا هريرة فاحتج أبو هريرة على أن النساء في الجنة أكثر بقول الرسول ﷺ: **«إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضوأ كوكب درّي في السماء، لكل امرىء منهم زوجتان اثنتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم وما في الجنة أعزب»**[2].

والحديث واضح الدلالة على أن النساء في الجنة أكثر من الرجال، وقد احتج بعضهم على أن الرجال أكثر بحديث: **«رأيتكن أكثر أهل النار»** والجواب لا يلزم من كونهن أكثر أهل النار أن يكن أقل ساكني الجنة كما يقول ابن حجر العسقلاني[3]، فيكون الجمع بين الحديثين أن النساء أكثر أهل النار وأكثر أهل الجنة وبذلك يكن أكثر من الرجال وجوداً في الخلق[4].

3 ـ أطفال المؤمنين:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ

(1) البخاري، ك المظالم والغصب، رقم: 2308.
(2) مسلم، ك الجنة، رقم: 2834.
(3) فتح الباري (6/ 325).
(4) الجنة والنار للأشقر، ص: 195.

﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: 21].

فهذه الآية تدل بعمومها على أن ذرية المؤمنين معهم في الجنة، لأن الطفل يولد على الفطرة وهي الإسلام، فإذا مات فهو ميت على الإيمان فيكون مع والديه في الجنان، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾﴾ [المدثر: 38 39]، قال علي بن أبي طالب ﷺ: هم أطفال المسلمين، لم يكتسبوا فيرتهنوا بكسبهم[1].

ودخول أطفال المسلمين الجنة ثابت في السنُّة وذكر الكتاني أنها بلغت حد التواتر[2]، فعن أبي حسان قال: قلت لأبي هريرة: إنه مات لي ابنان فما أنت محدثني عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا قال، قال: نعم: صغارهم دعاميص[3]، الجنة يلتقي أحدهم أباه. أو قال. أبويه. فيأخذه بثوبه أو قال بيده كما آخذ أنا بضفة ثوبك هذا، فلا يتناهى. أو قال فلا ينتهي. حتى يدخله وأباه الجنة[4]، وعن البراء ﷺ قال: لما توفي إبراهيم ابن الرسول ﷺ قال رسول الله ﷺ: **«إن له مرضعاً في الجنة»**[5].

وقال ﷺ: **«ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلاَّ تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل»**[6]. وقال

---

(1) التذكرة للقرطبي (2/ 317) اليوم الآخر للمطيري، ص: 573.
(2) نظم المتواتر، ص: 127.
(3) دعاميص: جمع دعموص، أي، صغار أهلها.
(4) مسلم ك البر والصلة، رقم: 2635.
(5) البخاري، ك الجنائز، رقم: 1316.
(6) سنن ابن ماجه، رقم: 1604 سنده حسن.

رسول الله ﷺ: «ذراري المسلمين في الجنة يكفلهم إبراهيم عليه السلام»[1].

وقال رسول الله ﷺ: «أطفال المسلمين في جبل في الجنة يكفلهم إبراهيم وسارة حتى يدفعونهم إلى آبائهم يوم القيامة»[2].

4 ـ اجتماع أهل الجنة وحديثهم:

من أحاديثهم ما قاله سبحانه: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور: 25-28].

ومن أحاديثهم تذكرهم أهل الكفر الذين كانوا يشككونهم بالله واليوم الآخر، قال تعالى: ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ

(1) السلسلة الصحيحة (2/ 156)، رقم: 603.

(2) المصدر نفسه (3/ 451)، رقم: 1467.

هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ «الصافات: 39، 61».

تأمل ما في هذه الآيات من النعيم والكرامة، فقد بين الله تعالى في هذه الآية أنهم يجتمعون يوم القيامة ويعطون من الفواكه وهم على السرر متقابلين، يتجاذبون أطراف الحديث، وفي أثناء حديثهم يُخدمون كالملوك فعندهم الفواكه، ويطاف عليهم بالخمر اللذيذة وعندهم النساء الحور العين، ثم يبدأ الحوار، فيتذكر أحدهم صاحباً له كان يأمره بالمعاصي وينكر البعث، فينادي منادي: هل تريد أن تعرف حاله؟ فيأخذ هذا الرجل ليريه ذلك الصاحب وقد استقر في قلب الحجيم يتقلب على الجمر لا يموت ولا يحيى، فيخاطبه سائلاً توبيخ واستنكار: هل نحن لا نموت إلا موتتنا الأولى ولن نبعث ولن نعذب، ثم ينظر لحاله والنعيم الذي هو فيه وينظر إلى حال هذا الذي أصبح من حطب جهنم ويقارن بين الحالين فيرى البون الشاسع والفرق الواسع فيقول لنفسه وقد امتلأ سروراً وفاض غبطة: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾[1].

5 ـ أعلى أهل الجنة:

الأنبياء ثم الصديقون ثم الشهداء ثم الصالحون. قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: 69]، أي معهم في الجنة وإن لم يكونوا معهم في الدرجة[2].

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 571.

(2) المصدر نفسه، ص: 572.

وعن المغيرة بن شعبة قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل، فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أُخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلك ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت ربي، فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت ربي فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذة عينيك، فيقول: رضيت ربي. قال: ربي، فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها فلم ترى عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر، قال: ومصداقه في كتاب الله ﷻ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾»[1].

6 ـ أهل الجنة يرثون نصيب أهل النار في الجنة:

قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف: 43].

وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزخرف: 72].

وقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ

(1) مسلم، ك الإيمان، رقم: 189.

هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: 10 11].

وقال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلاَّ له منزلان: منزل في الجنة ومنزل في النار، فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله، فذلك قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾»[1].

7 ـ زوجة المؤمن إذا ماتت على الإيمان مع زوجها المؤمن في الجنة:

قال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الرعد: 23]، وهم في الجنات منعمون مع الأزواج يتكئون في ظلال الجنة مسرورين فرحين، قال تعالى: ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾ [يس: 56]، وقال تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزخرف: 70][2].

8 ـ مؤمنو الجن يدخلون الجنة:

مؤمنو الجن يثابون على الطاعة ويدخلون الجنة، فبعد أن تكلم الله ﷻ عن الإنس والجن في سورة الأنعام قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [الأنعام: 132]، وقوله: ﴿وَلِكُلٍّ﴾ يعود على الإنس والجن، فدل على أن لهم درجات في الجنة بحسب عملهم[3].

---

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 584.

(2) المصدر نفسه، ص: 582.

(3) المصدر نفسه، ص: 590.

وقوله تعالى في الحور العين: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرَّحمٰن: 56] ، فدل على أن الجن يدخلون الجنة ويتمتعون بالحور العين كما يحصل للإنس[1].

9 ـ ضحك أهل الجنة من أهل النار:

كان الكفار في الدنيا يخاصمون المؤمنون ويسخرون منهم ويهزؤون بهم، فإذا جاء يوم القيامة انقلب الحال، وتبدلت الأحوال فإذا بالمؤمنين، وهم في النعيم المقيم ينظرون إلى المجرمين فيضحكون منهم ويسخرون بهم[2]، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَـٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: 22-36].

ثامناً: سادة أهل الجنة:

1 ـ الأنبياء والرسل:

سيد أهل الجنة هو الرسول ﷺ ثم إخوانه من الأنبياء

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 590.
(2) المصدر نفسه، ص: 582.

والمرسلين، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَاذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ [ص: 45-50].

وقال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: 82-90].

فوصفهم الله بالهداية والصلاح والاجتباء والإحسان وبين في آيات كثيرة أن المحسن جزاءه الجنة: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس: 26].

وهذا معلوم من الدين بالضرورة، بل العقل يدل على ذلك، فإن الله تعالى لا يرسل مبلغاً عنه إلاَّ وهو في الغاية القصوى من

الكمال البشري خلقاً وخُلقاً وديناً وصلاحاً، وما كان الله ليعذب من دل الناس عليه[1].

2 ـ سادات الصحابة:

الجنة درجات ومراتب وأهلها متفاوتون في درجاتهم وأعلى الدرجات فيها سادة أهل الجنة، فسيد كهول أهل الجنة أبوبكر وعمر ﷺ لقوله ﷺ: «**أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين**»[2]، وسيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين، لقوله ﷺ: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**»[3]، ونص الرسول ﷺ على أن عشرة من أصحابه في الجنة، فقد قال: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة**»[4]، وإسناده صحيح، وقد نص الرسول ﷺ على مجموعة أخرى من الصحابة في الجنة منهم:

ـ جعفر بن أبي طالب، وحمزة بن عبد المطلب:

قال ﷺ: «**دخلت الجنة البارحة، فنظرت فيها، فإذا جعفر يطير مع الملائكة، وإذا حمزة متكئ على سرير**»[5]، وقد صح أن

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 585.
(2) سلسلة الأحاديث الصحيحة (2 / 487)، رقم: 824.
(3) المصدر نفسه (2 / 438)، رقم: 797.
(4) صحيح الجامع الصغير (1 / 70)، رقم: 50.
(5) المصدر نفسه (3 / 140) رقمه: 3358.

الرسول ﷺ قال: «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب»[1].

- عبد الله بن سلام:

قال رسول الله ﷺ: «عبد الله بن سلام عاشر عشرة في الجنة»[2].

- زيد بن حارثة:

قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة، فاستقبلتني جارية شابة، فقلت: لمن أنت؟ قالت: لزيد بن حارثة»[3].

- زيد بن عمرو بن نفيل:

قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة فرأيت لزيد بن عمرو بن نفيل درجتين».

- حارثة بن النعمان:

قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة، فسمعت فيها قراءة، فقلت: من هذا؟ قالوا: حارثة بن النعمان، كذلكم البر، كذلكم البر»[4].

- بلال بن أبي رباح:

قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة، فسمعت خشفة بين يدي،

(1) صحيح الجامع (3 / 219) رقمه: 3569.
(2) المصدر نفسه (4 / 25) رقمه: 3870.
(3) المصدر نفسه (3 / 141) رقمه: 3362.
(4) صحيح الجامع الصغير (142/ 3) رقمه 3366.

قلت: ما هذه الخشفة؟ فقيل: هذا بلال يمشي أمامك»[1].

3 ـ سيدات نساء أهل الجنة:

مريم بنت عمران هي سيدة النساء الأولى وأفضل النساء على الإطلاق، فقد روى الطبراني بإسناد صحيح على شرط مسلم عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**سيدات نساء أهل الجنة بعد مريم ابنة عمران، فاطمة، وخديجة، وآسية امرأة فرعون**[2]»، وكونها أفضل النساء على الإطلاق صرح به القرآن: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: 42].

وهؤلاء الأربعة نماذج رائعة للنساء الكاملات الصالحات، فمريم ابنة عمران أثنى عليها ربها في قوله: ﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: 12].

وخديجة التي آمنت بالرسول ﷺ من غير تردد، وثبتته، وآسته بنفسه ومالها، وقد بشرها ربها في حياتها بقصر في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب[3]، فقد روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: أتى جبريل النبي ﷺ فقال: «**يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا هي أتتك فأقرأ عليها السلام من ربها مني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا**

(1) المصدر نفسه (3/142)، رقم: 3364.
(2) سلسلة الأحاديث الصحيحة (3/410)، رقم: 1424.
(3) الجنة والنار، للأشقر، ص: 211.

صخب فيه ولا نصب»[1]، وآسية امرأة فرعون هان عليها ملك الدنيا ونعيمها فكفرت بفرعون وألوهيته فعذبها زوجها فصبرت حتى خرجت روحها إلى بارئها، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم: 11].

وفاطمة الزهراء ابنة الرسول ﷺ الصابرة المحتسبة التقية الورعة فرع الشجرة الطاهرة، وتربية معلم البشرية[2].

وأمهات المؤمنين أيضاً من سيدات الجنة لأنهن مع النبي ﷺ في الجنة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الأحزاب: 28، 29].

وعن عائشة قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي فقال: **«إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك»** قالت: قد علم أن أبواي لم يكونا ليأمراني بفراقه قالت: ثم قال: إن الله ﷻ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الأحزاب: 28، 29]، قالت: فقلت: في أي هذا

(1) البخاري، ك المناقب فتح الباري (133/7).
(2) الجنة والنار للأشقر، ص: 212.

استأمر أبواي، فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثم فعل أزواج رسول الله مثل ما فعلت[1].

وقال ﷺ: **«المرأة لآخر أزواجها في الآخرة»**. وفي رواية: **«جمع بينهما في الجنة»**[2]، وعليه فتكون زوجاته عليه الصلاة والسلام معه في الجنة ولا يلزم من هذا أن يكن معه في نفس الدرجة، لأنه قد ثبت أن النبي ﷺ في منزلة الوسيلة التي لا تنبغي إلا لرجل واحد ولكنهن قريبات منه ﷺ. ولا يلزم من هذا أيضاً أن تكون أمهات المؤمنين خير من كل أصحاب رسول الله ﷺ بما فيهم أبوبكر وعمر وعثمان وعلي، وقد تواترت الأحاديث على أفضلية أبي بكر على جميع الصحابة بما فيهم أمهات المؤمنين[3]، وقد تواتر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ﷺ[4].

تاسعاً: فضل نعيم الجنة على متاع الدنيا:

قارن المولى ﷻ بين متاع الدنيا ونعيم الجنة، وبيّن أن نعيم الجنة خير من الدنيا وأفضل، وأطال في ذم الدنيا وبيان الآخرة، وما ذلك إلاّ ليجتهد العباد في طلب الآخرة ونيل نعيمها، ونجد ذم الدنيا ومدح نعيم الآخرة، وتفضيل ما عند الله على متاع الدنيا القريب

(1) البخاري، رقم: 4508.
(2) السلسلة الصحيحة للألباني (3/ 275).
(3) نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني، ص: 202.
(4) المصدر نفسه، ص: 203.

العاجل في مواضع[1]، قال تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾ [آل عِمرَان: 198].

ـ وقوله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: 131].

ـ وقال في موضع ثالث: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: 14-15]. وسر أفضلية نعيم الآخرة على متاع الدنيا من وجوه منها.

1 ـ متاع الدنيا قليل:

قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [النِّساء: 77].

وقد صور لنا الرسول ﷺ قلة متاع الدنيا بالنسبة إلى نعيم الآخرة بمثال ضربه فقال: «**والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه ـ وأشار بالسبابة ـ في اليم ـ فلينظر بم ترجع**»[2]. ما الذي تأخذه الأصبع إذا غمست في البحر الخضم، إنها لاتأخذ منه قطرة هذا هو نسبة الدنيا إلى الآخرة ولما كان متاع الدنيا قليل، فقد

(1) الجنة والنار، للأشقر، ص: 223.

(2) مسلم (4/ 2193)، رقم: 2858.

عاتب الله المؤثرين لمتاع الدنيا على نعيم الآخرة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة: 38].

2 ـ هو أفضل من حيث النوع:

قال تعالى: ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾، فثياب أهل الجنة وطعامهم وشرابهم وحليهم وقصورهم أفضل مما في الدنيا قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: 20].

بل لا وجه للمقارنة فإن موضع السوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، فعن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ: «**موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها**»[1]، وقال ﷺ: «**لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها**»[2]، وقارن نساء أهل الجنة بنساء الدنيا لتعلم فضل ما في الجنة على ما في الدنيا، عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ: «**لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد. يعني سوطه. خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحاً ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها**»[3].

وقال تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

(1) البخاري، ك الجهاد والسير، رقم: 3078.
(2) البخاري، رقم: 2640.
(3) البخاري، رقم: 2643.

[الزّخرُف: 70] : أي تفرحون والفرح في القلب[1].

3 ـ الجنة خالية من شوائب الدنيا وكدرها:

فطعام أهل الدنيا وشرابهم يلزم منه الغائط والبول والروائح الكريهة، وإذا شرب المرء خمر الدنيا فقد عقله، ونساء الدنيا يحضن ويلدن، والحيض أذى والجنة خالية من ذلك كله، فأهلها لا يبولون ولا يتغوطون ولا يبصقون ولا يتفلون وخمر الجنة كما وصفها خالقها: ﴿بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الصّافات: 46] ، وماء الجنة لا يأسن، ولبنها لا يتغير طعمه ﴿أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ [محمّد: 15] ، ونساء أهل الجنة مطهرات من الحيض والنفاس وكل قاذورات نساء الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البَقَرَة: 25] .

وقلوب أهل الجنة صافية، وأقوالهم طيبة، وأعمالهم صالحة، فلا تسمع في الجنة كلمة نابية تكدر الخاطر وتعكر المزاج وتستثير الأعصاب، فالجنة خالية من باطل الأقوال والأعمال، ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ [الطُّور: 23] .

ولا يطرق المسامع إلا الكلمة الصادقة الطيبة السالمة من عيوب كلام أهل الدنيا ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا﴾ ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا﴾، وقال تعالى: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾﴾ [الغَاشِيَة: 11] إنها دار الطهر والنقاء والصفاء الخالية من الأوشاب والأكدار، إنها دار السلام والتسليم ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا

(1) اليوم الآخر، في القرآن العظيم، ص: 593.

سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الواقعة: 25 . 26] فأهل الجنة عند دخول الجنة، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشياً[1]، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: 47].

4 ـ نعيم الدنيا زائل ونعيم الآخرة باق:

قال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: 64]، ولذلك سمى الحق تبارك وتعالى ما زين للناس من زهرة الدنيا متاعاً، لأنه يتمتع به ثم يزول، وأما نعيم الآخرة فهو باق ليس له نفاد قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: 96]، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [صٓ: 54]، وقال: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: 35] ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر: 48].

وقد ضرب الله الأمثال لسرعة زوال الدنيا وانقضائها قال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف، : 45 46].

فقد ضرب الله مثلاً لسرعة زوال الدنيا وانقضائها بالماء النازل من السماء الذي يخالط نبات الأرض فيخضر ويزهر ويثمر وما هي إلا فترة وجيزة حتى تزول بهجته، فيذوب ويصفر، ثم تعصف به

(1) فتح الباري (6/ 318) الجنة والنار، للأشقر، ص: 227.

الرياح في كل مكان، وكذلك زينة الدنيا من الشباب والمال والأبناء والحرث والزرع كلها تتلاشى وتنقضي، فالشباب يذوب ويذهب، والصحة والعافية تبدل هرماً ومرضاً، والأموال والأولاد قد تذهب وأما الآخرة فلا رحيل ولا فناء ولا زوال، قال تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [النحل: 30-31].

5 ـ العمل لمتاع الدنيا ونسيان الآخرة:

يعقبه الحسرة والندامة ودخول النيران: قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: 185]، وأما العمل للآخرة فلا يعقبه إلا الفوز بها[1].

ومن تكريم الله لهم أن الجنة تقرب لهم، لا يقربون هم إلى الجنة قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الشُّعَرَاء: 90]، وقال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾﴾ [قَ: 31]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾﴾ [التكوير: 13]، أي: قربت[2].

عاشراً: نعيم أهل الجنة:

1 ـ طعام أهل الجنة:

الجنة لا جوع فيها ولا عطش، قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ [طـه: 118،

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 595.
(2) المصدر نفسه.

119]، وقال رسول الله ﷺ: «**إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلون، ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون، قالوا: فما بال الطعام؟ قال: جشاء ورشح كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتحميد، كما يلهمون النفس**»[1]، وقد ذكر الله تعالى أنواعاً كثيرة من طعامهم منها:

ـ الفاكهة بجميع أنواعها: قال تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الواقعة: 20]، ومن هذه الفاكهة العنب ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا﴾ [النبأ: 31-32]، وهذه الفاكهة ليست بقليلة بل هي كثيرة ﴿لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف: 73].

ولا يتعب نفسه في إحضارها وجنيها بل يطلب ذلك ويحضرها الخدم له ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ [ص: 51].

وهذه الفاكهة من النوع الذي يختاره ويشتهيه حتى نكمل اللذة فلا يأتونه بشيء لم يختره ولا يشتهيه: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الواقعة: 20، 21].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [المرسلات: 41 ـ 43].

وهذه الفاكهة لا تنقطع في وقت من الأوقات كما يحصل في فواكه الدنيا، بل هي متوفرة دائماً، ولا تُمنع عن أصحاب الجنة أبداً

(1) مسلم، ك الجنة، رقم: 2835.

﴿وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ﴾ [الواقعة: 31-33]، وإذا اشتهى أن يقطف الفاكهة بنفسه فإنها لا تعسر عليه، بل تذلل له الأغصان وتنزل حتى يأخذ منها ما شاء بلا تعب ولا عناء: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا﴾ [الإنسان: 14]، وقال: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ﴾ [الرحمٰن: 54].

ـ لحم الطير: قال تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الواقعة: 20 . 21] وعن أنس بن مالك قال: يا رسول الله ﷺ ما الكوثر؟ قال: «**ذاك نهر أعطانيه الله يعني في الجنة أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، فيها طير أعناقها كأعناق الجزر**»، قال عمر: إن هذه لناعمة، قال رسول الله ﷺ: «**أكلتها أحسن منها**»[1]. وليس هذا فقط طعامهم بل لهم كل ما اشتهت أنفسهم ولذته أعينهم ﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف: 71].

2 ـ شراب أهل الجنة:

وأما شرابهم فإنه شراب طهور طيب لا كما يفعل بعض الضالين الذين يشربون النجاسة، فتجدهم يشربون الخمر، وبعضهم يشرب الدم المسفوح، وبعضهم يشرب العرق وغير من النجاسات والقاذورات، وأما أهل الجنة فشرابهم طاهر، طهور طيب قال تعالى: ﴿عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾ [الإنسان: 21].

---

(1) جامع الأصول (10/ 467) حسنه الترمذي.

ومن هذه الأشربة:

* العسل واللبن والماء:

قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: 15].

* الكافور:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾ [الإنسان: 5، 6].

* الزنجبيل:

قال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ۝١٨﴾ [الإنسان: 17، 18].

أخبر سبحانه عن مزاج شرابهم بشيئين: بالكافور في أول السورة، والزنجبيل في آخرها، فإن في الكافور من البرد وطيب الرائحة، وفي الزنجبيل من الحرارة وطيب الراحة ما يحدث لهم باجتماع الشرابين ومجيء أحدهما على أثر الآخر حالة أخرى أكمل وأطيب وألذ من كل منهما بانفراده، ويعدّل كيفية كل منهما بكيفية الآخر، وما ألطف موضع ذكر الكافور في أول السورة والزنجبيل في آخرها، فإن شرابهم مزج أولاً بالكافور وفيه من البرد ما يجيء الزنجبيل بعده فيعدله والظاهر أن الكأس الثانية غير الأولى وأنهما نوعان

لذيذان من الشراب أحدهما مزج بكافور، والثاني مزج بزنجبيل[1].

* التسنيم:

قال تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [المطففين: 25 ـ 28]، قال ابن عباس: تسنيم أشرف شراب أهل الجنة وهو صرف للمقربين ويمزج لأصحاب اليمين[2].

* الخمر:

تكلم الله تعالى عن خمر الجنة في غير ما آية ونفى عنه جميع آفات خمر الدنيا، قال تعالى: ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الواقعة: 18، 19] وقال: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ [الطور: 22-23]، وقال: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ﴾ [محمد: 15]، فخمر الدنيا[3]، طعمها غير لذيذ، وتحدث لمن شربها صداع، ويذهب بعقله، ويكثر عندها اللغو واللغط بل لا تحلو إلّا بكثرة اللغو وتوقع الإنسان في الآثام العظام من دخول تحت اللعنة وارتكاب للمحظورات فلا يمتنع عن شيء منها وكيف يمتنع وهو لا عقل له؟ فهذه خمسة منغصات لخمر الدنيا نفاها الله عن خمر الآخرة، فالطعم لذة للشاربين، وهم لا يصدعون عنها، ولا ينزفون

(1) حادي الأرواح لابن القيم، ص: 224.
(2) البدور السافرة في أحوال الآخرة
(3) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 603.

أي لا تذهب عقولهم، ولا لغو عندها، ولا إثم فيها[1].

وقال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾[الصافات: 45 ـ 47].

وهذه الكأس من خمر الجنة، والمعين: الجاري الكثير، ولون هذه الخمر بيضاء أي حسنة المنظر وهي ذات ﴿لَذَّةٍ﴾، والغول صداع في الرأس وقيل وجع في البطن، وهي ليس فيها هذا ولا هذا ﴿يُنزَفُونَ﴾ أي لا يسكرون منها[2]، فلا تذهب عقولهم وتبقى لذاتها والخمر هي المقصود بقوله تعالى: ﴿رَحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ قال تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ﴾ [المطففين: 25-27]، والرحيق هي الخمر الصافية، ومن لذة الخمر أنها تختم بالمسك[3]، ولعل أعظم منغصات خمر الدنيا أن من شربه في الدنيا لم يشربه في الآخرة، قال ﷺ: **«من شربه في الدنيا لم يشربه في الآخرة»**، قال ﷺ: **«من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة إلا أن يتوب»**[4].

وقال رسول الله ﷺ: **«أيما مؤمن أطعم مؤمناً على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة، وأيما مؤمن سقى مؤمناً على ظمإ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم، وأيما مؤمن كسا مؤمناً على عري كساه الله من خضر الجنة»**[5].

---

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 604.
(2) التسهيل، لابن جزي (2/ 235) المصدر نفسه، ص: 604.
(3) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 604.
(4) البخاري، ك الأشربة، رقم: 5253.
(5) سنن أبي داود، ك الزكاة، رقم: 1682 سنده حسن.

3 ـ آنية طعامهم وشرابهم:

آنية طعام أهل الجنة من ذهب وفضة، قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ[1] وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: 71].

الصحاف جمع صحفة وهي القصعة وزناً ومعنى، وهي من ذهب كما هو صريح الآية، والأكواب جمع كوب وهو الكوز المستدير الرأسي للذي لا عروة له ولا خرطوم[2].

وقال رسول الله ﷺ: «**أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على أثرهم كأشد كوكب إضاءة قلوبهم على قلب رجل واحد، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، لكل امرئ منهم زوجتان، كل واحد منهما يرى مخ ساقها من وراء لحمهما من الحسن، يسبحون الله بكرة وعشياً لا يسقمون ولا يتمخطون ولا يبصقون آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ووقود مجامرهم الألوة ـ يعني العود ـ ورشحهم المسك**»[3].

وقال تعالى: ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الواقعة: 18 ـ 19]، أباريق جمع إبريق والأكواب الكبيرة ذات العري والخراطيم[4]، والكأس هو الكوب إذا كان فيه

(1) أكواب: أي من ذهب.
(2) لسان العرب (1 / 729) حادي الأرواح، ص: 233.
(3) البخاري، ك بدء الخلق، رقم: 3073.
(4) صفة الجنة، لابن كثير، ص: 113.

شراب[1]، وهذا الكأس مليء بالشراب كما قال تعالى: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾﴾ [النبأ: 34] ، أي مليئة مترعة متتابعة، وهذا من كمال النعيم، فلا ينقصهم شيء حتى الكؤوس مليئة، وقال تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان: 15-16]، القوارير الزجاج، أي هي في صفاء الزجاج وهي من فضة وهذا ما لا نظير له في الدنيا[2].

وهي معدة على قدر كفاية ولي الله في شربة لا تنقص عن كفايته شيء ولا تزيد فقد قدروها تقديراً، وهذا أبلغ في لذة الشارب، فلو نقص عن ربه لنقص التذاذه، ولو زاد حتى يشمئز منه حصل له ملالة وسآمة من الباقي، وهذا يدل على الاعتناء والشرف[3]. وقال رسول الله ﷺ: **«لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة»**[4].

وقال رسول الله ﷺ: **«جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلَّا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»**[5].

---

(1) مفردات القرآن، للراغب الأصفهاني، ص: 729.
(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 609.
(3) صفة الجنة، لابن كثير، ص: 103 بتصرف.
(4) متفق عليه البخاري، رقم: 5110، مسلم رقم: 2067.
(5) البخاري، رقم: 4597، مسلم، رقم: 180.

4 ـ لباس أهل الجنة وحليهم:

لا عري في الجنة قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ [طه: 118-119].

وقال ﷺ: «**من يدخل الجنة ينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه**»[1]، ولهم أفضل أنواع اللباس فمن ذلك:

* الحرير: بأنواعه الرقيق منه والغليظ قال تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: 12] ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: 23]

وقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: 31].

وقال سبحانه: ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الدّخان: 53].

والسندس ما رق من الديباج والحرير، والإستبرق ما غلظ منه. وقال الزجاج: هما نوعان من الحرير، وأحسن الألوان الأخضر وألين اللباس الحرير، فجمع لهم بين حسن منظر اللباس والتلذذ به[2].

وقال تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان: 21] تأمل ما دلت عليه لفظة: ﴿عَالِيَهُمْ﴾ من كون ذلك اللباس ظاهراً بارزاً

(1) مسلم، ك الجنة، رقم: 2836.
(2) حادي الارواح، ص: 237.

يحمل ظاهرهم ليس بمنزلة الشعار الباطن بل الذي يلبس فوق الثياب للزينة والجمال[1].

وأما حليهم وأساورهم فهي كالتالي:

* الذهب: قال تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [فَاطِر: 33].

* الفضة: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾ [الإنسَان: 21].

* اللؤلؤ: قال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [فَاطِر: 33] فأساور أهل الجنة بعضها من الفضة، وبعضها من ذهب، وبعضها من لؤلؤ، قال تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فَاطِر: 33][2].

5 ـ فرش أهل الجنة:

قال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الرَّحمٰن: 54].

ففرش أهل الجنة باطنها من حرير، فإذا كان هذا باطنها فكيف هو ظاهرها؟ وهذه الفرش عالية لها سُمك وحشو بين البطانة والظهارة كما قال تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾﴾ [الواقِعَة: 34].

---

(1) حادي الارواح، ص: 238.

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 611.

6 ـ بسط أهل الجنة:

قال تعالى: ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ [الغَاشِيَة: 16] ، والزرابي جمع زوربية وهي البسط[1]، وهو مبثوثة على شكل متسق ومتكامل وقال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾ [الرَّحمٰن: 76] .

العبقري: البسط الجياد، والرفرف: رياض الجنة[2].

7 ـ الوسائد:

قال تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ [الغاشية: 15. 16].

النمارق جمع نمرقة، وهي الوسادة، وهي التي توضع تحت الرأس . وقيل المساند . وهي التي توضع خلف الظهر أو على الجنب . وقد يعمهما اللفظ[3].

وهذه المخاد والوسائد مصفوفة ومعدة للاستناد إليها دائماً وترتيب الوسائد وصفها أجمل للناظر من المبعثرة، وهكذا وسائد أهل الجنة، فينعمون حتى بالنظر[4].

8 ـ سرر وأرائك أهل الجنة:

قال الله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: 20].

---

(1) لسان العرب (1/ 447).
(2) البعث والنشور، للبيهقي، ص: 183.
(3) صفة الجنة، لابن كثير، ص: 123.
(4) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 613.

السرر: جمع سرير وهو الذي يجلس عليه[1].

وذكر الله تعالى لهذه السرر ثلاث صفات:

* قال تعالى: ﴿سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾.

فالسرر مصفوفة بعضها إلى جانب بعض، ليس بعضها خلف بعض ولا بعيد عن بعض.

* قال تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الواقعة: 15 ، 16] موضونة: أي مرصعة ومتقاربة ومنسوجة بقضبان الذهب مشتبكة بالدر والياقوت والزبرجد[2].

* قال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾﴾ [الغَاشِيَة: 13].

- وقال تعالى: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ ۖ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: 31].

- ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ [ص: 51].

- ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان: 13].

- ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ [المطفّفين: 23-24].

---

(1) لسان العرب (4/361) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 614.

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 614.

- ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المطففين: 34 ، 35].

الأرائك جمع أريكة.

قال ابن عباس: لا تكون أريكة حتى يكون السرير في الحجلة[1].

وقال مجاهد: هي الأسرة في الحجال[2]، الحجال: القبة من القماش تكون على السرير مثلما يضع للعروس على سريرها من ضرب الستور والأقمشة على شكل القبة وتعلق فوق السرير[3]، فالأريكة سرير عليه الستور، يخلو به المؤمن بحِبِّه[4].

9 ـ خدم أهل الجنة:

قال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾﴾[الواقعة: 17 . 18].

وقال تعالى: ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإنسان: 19] .

يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان من ولدان أهل الجنة مخلدون، أي على حالة واحدة مخلدون عليها، لا يتغيرون عنها، لا

(1) البعث والنشور للبيهقي، ص: 182.
(2) المصدر نفسه، ص: 182.
(3) لسان العرب (11 / 144).
(4) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 615.

تزيد أعمارهم عن تلك السن، وقوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثُورًا﴾ [الإنسان: 19]. أي إذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة وكثرتهم وصباحة وجوههم وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم، حسبتهم لؤلؤا منثوراً، ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا، ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن[1].

10 ـ سوق أهل الجنة:

قال رسول الله ﷺ: **«إن في الجنة لسوقاً، يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال، فتحثوا في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازدتم بعدنا حسناً وجمالاً، فيقولون: وأنتم، والله لقد ازدتم بعدنا حسناً وجمالاً»**[2].

والمراد بالسوق مجمع لهم يجتمعون كما يجتمع الناس في الدنيا في السوق، ومعنى يأتونها كل جمعة، أي مقدار كل جمعة، أي أسبوع، وليس هناك حقيقة أسبوع، لفقد الشمس والليل والنهار[3].

11 ـ سماع أهل الجنة:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: 15].

---

(1) تفسير ابن كثير (4 / 456).
(2) مسلم، ك الجنة، رقم: 2833.
(3) النووي على مسلم (17 / 170).

وقال تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزّخرُف: 70].

قال يحيى بن أبي كثير: الحبرة: اللذة وسماع الغناء[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [يسّ: 55].

قال ابن عباس ﷺ: شغلهم بسماع الأوتار[2].

وقوله ﴿فَاكِهُونَ﴾ الفكاهة المزاح والكلام الطيب والمتفكه المتنعم[3].

ـ وقال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة لمجتمعاً للحور العين يرفعن أصوات لم يسمع الخلائق مثلها، قال يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبؤس ونحن الراضيات فلا سخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له**»[4].

ـ وقال رسول الله ﷺ: «**إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط، وإن مما يغنين: نحن الخيرات الحسان، أزواج قوم كرام، ينظرن بقرة أعيان، وإن مما يغنين به:**

(1) البعث والنشور للبيهقي، ص: 211 حادي الأرواح، ص: 291.
(2) تفسير ابن كثير (3 / 575).
(3) تفسير القرطبي (15 / 31).
(4) صفة الجنة، لابن كثير، ص: 137 سنده، صحيح بشواهد.

نحن الخالدات فلا يمتنه، نحن الآمنات فلا يخفنه، نحن المقيمات فلا يظعنه»[1].

ـ وقال رسول الله ﷺ: **«إن الحور العين ليغنين في الجنة، يقلن: نحن الحور الحسان، جئنا لأزواج كرام»**[2].

12 ـ لهم ما اشتهت نفوسهم:

قال تعالى: ﴿سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنبياء: 101 . 102].

وقال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [يس: 57].

ـ وقال جل ذكره: ﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾ [الفرقان: 16].

ـ وقال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: 34].

ـ وقال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الزخرف: 71].

13 ـ الجمع بين متاع الدنيا ونعيم الجنة:

الدنيا تذم إذا كانت شاغلاً عن الآخرة، أما إذا جعلها العبد معبراً ومدخلاً لنيل الآخرة، فالأمر ليس كما يظن بعض الناس،

---

(1) صحيح الجامع الصغير للألباني (2 / 48)، رقم: 1557.

(2) البعث والنشور للبيهقي، ص: 211.

وانظر إلى الصالحين من قوم قارون عندما أنسته أمواله الآخرة قالوا لـــه: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص: 77] ، فلم يأمروه بترك الدنيا كلها بل قالوا له: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾، وأقرّهم رب العزة على هذه الكلمة وسطرها في كتابه عنواناً لمنهج رباني[1].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف: 32] .

الحادي عشر: الحور العين:

1 ـ جمال وحسن حور العين:

شبه الله تعالى الحور العين بثلاث تشبيهات:

* قال تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الصافات: 48 . 49].

قيل إنه بيض النعام المكنون في الرمل، وهو عند العرب أحسن ألوان البياض، وقيل: المراد به اللؤلؤ قبل أن يبرز من صدفه[2].

* قال تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 626.
(2) صفة الجنة، لابن كثير، ص: 127.

[الواقعة: 22 ـ 23]: المكنون: أي المخبأ، الذي لم يغير صفاء لونه ضوء الشمس ولا عبث الأيدي، ولم تؤثر على لونه، فاللؤلؤ المكنون هو اللؤلؤ المصون الذي لم يخرج من صدفه[1]، وهو في هذه الحال في غاية ما يكون من الحسن والجمال، فشبه الله تعالى الحور العين باللؤلؤ المكنون لحسنهم وبهائهن ونظافتهن وحسن منظرهن وملبسهن وبياض الحور العين غاية في البياض حتى إن إحداهن لو خرجت إلى الدنيا لملأ نورها أرجاء المعمورة[2]، قال ﷺ: «**ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت على أهل الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأته ريحاً، ولنصيفها، على رأسها خير من الدنيا وما فيها**»[3]، والنصيف هو الخمار، فإذا كان الخمر خيراً من الدنيا وما فيها فما بالك بالتي تلبس الخمار[4].

ـ وقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ [الرَّحمٰن: 58].

الياقوت والمرجان حجران كريمان جميلان، ولهما منظر حسن بديع، فشبههن في صفاء الياقوت وبياض المرجان[5].

2 ـ صفاتهن الخُلُقية:

* ـ قاصرات الطرف:

قال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ

(1) التسهيل، لابن جزي (2/ 377).
(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة، ص: 627.
(3) البخاري، ك الجهاد، رقم: 2643.
(4) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 628.
(5) تفسير ابن كثير (4/278).

﴿٥٦﴾﴾ [الرَّحمٰن: 56] .

وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الصافات: 48 ، 49].

وقال تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾﴾ [صٓ: 52] ، والمفسرون كلهم على أن المعنى قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم، قال مجاهد: قصرن أبصارهن وقلوبهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم، وقيل: قصرن طرف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن وجمالهن أن ينظروا إلى غيرهن[1].

* متحببات:

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾ [الواقعة: 35 ـ 37].

عرب: جمع عَروبة[2] أو عَرِبة أو عروب، وهي المرأة الحسناء المتوددة المتحببة لزوجها[3]، العاشقة له.

* ـ جميع الأخلاق الحسنة الطاهرة:

قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البَقَرَة: 25] .

---

(1) حادي الأرواح لا بن القيم، ص: 261.
(2) مفردات القرآن، للراغب، ص: 557.
(3) لسان العرب (591/ 1).

طهر باطنها من الأخلاق السيئة والصفات المذمومة، وطهر لسانها من الفحش والبذاء، وطهر طرفها من أن تطمع لغير زوجها، وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ[1].

3 ـ صفاتهن الخلْقِيَة:

أ ـ مطهرات من الأنجاس:

قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البَقَرَة: 25] ، أي من الحيض والنفاس والبول والغائط والبصاق والمخاط والنخامة والمني والمذي والحدث وكل قذر وأذى يكون في نساء الدنيا[2]، بل حتى إذا وطئها زوجها رجعت بعد نزعه طاهرة مطهرة، وعن رسول الله ﷺ أنه سئل: أنطأ في الجنة؟ قال: «**نعم والذي نفسي بيده دحماً دحماً، فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكراً**»[3].

ب ـ حور عين:

قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الدّخان: 54] .

الحور جمع حوراء وهي المرأة الشابة الحسنة الجميلة نقية اللون والجلد لبياضها[4].

وهذا اللفظ مشتق من الحَوَر، والحور أن يشتد بياض العين

---

(1) حادي الأرواح، لابن القيم، ص: 258.
(2) البدور السافرة، ص: 554، حادي الأرواح، ص: 258.
(3) أخرجه ابن حبان وسنده حسن، انظر تحقيق، صفة الجنة، ص: 143.
(4) حادي الأرواح، ص: 258.

ويشتد سواد سوادها وتستدير حدقتها وترق جفونها مع شدة بياض الجسد، ولا تكون السمراء حوراء قال الأزهري: لا تسمى حوراء حتى تكون مع حور عينيها بيضاء لون الجسد[1]، وقيل: إن لفظ الحوراء مشتق من الحيرة، لأن الناظر إليها يحار من شدة جمالها، قال مجاهد: الحور التي يحار الطرف فيها[2]، وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾﴾ [الصَّافات: 48] ، وعين: جمع عيناء وهي الواسعة العين[3]، وجمعت أعينهن ـ مع السعة ـ صفات الحسن والملاحة[4].

ج ـ أتراب في السن:

قال تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾﴾ [صّ: 52] ، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾ [الواقعة: 35 ـ 37]: أتراب، أي أقران أسنانهن واحدة، مستويات على سن واحدة وميلاد واحد من الشباب والحسن، والمعنى من الإخبار باستواء أسنانهن أنهن ليس فيهن عجائز قد فات حسنهن، ولا ولائد لا يطقن الوطء[5].

د ـ أبكار:

الحور العين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ

(1) لسان العرب (219/ 4).
(2) البعث والنشور، ص: 203.
(3) لسان العرب (302/ 13).
(4) حادي الأرواح، لابن القيم، ص: 259.
(5) المصدر نفسه، ص: 261.

أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾﴾ [الواقعة: 35 . 36].

والبكر أفضل من الثيب، فالأرض التي لم يرُع فيها خير من أرض قد رُعي فيها، وهذه البكارة تعود كلما قام عنها زوجها، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه سئل: أنطأ في الجنة؟ قال: «**نعم والذي نفسي بيده دحماً دحماً، فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكراً**»[1].

هـ ـ كواعب:

قال تعالى: ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾﴾ [النبإ: 33] كواعب جمع كاعب، الكاعب هي المرأة التي تكعّب ثديها، أي نهد واستدار[2]، والمراد أن ثديهن نواهد كالرمان ليست متدلية إلى أسفل، ويسمين: نواهد وكواعب[3].

وحسبك شهادة لجمالهن الباهر وأنه بلغ الغاية في الحسن والمنتهى في الجمال أن الله تعالى شهد بهذا فقال: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الرحمٰن: 70] ، وحسان جمع حسناء[4].

4 ـ غيرة الحور العين:

قال ﷺ: «**لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا، إلّا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو دخيل عندك، يوشك أن يفارقك إلينا**»[5].

---

(1) أخرجه ابن حبان وسنده حسن، تحقيق، صفة الجنة، لابن كثير، ص: 143.
(2) لسان العرب (719/ 1) المفردات للراغب، ص: 713.
(3) حادي الأرواح، لابن القيم، ص: 267.
(4) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 632.
(5) صحيح الجامع الصغير (125/ 6)، رقم: 7069.

5 ـ يعطى المؤمن في الجنة قوة مائة رجل:

عن زيد بن أرقم قال: أتى النبي ﷺ رجل من اليهود فقال يا أبا القاسم ألست تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، وقال لأصحابه: إن أقر لي بهذه خصمته، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**بلى والذي نفسي بيده إن أحدهم ليعطي قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والشهوة والجماع**»، وقال: فقال له اليهودي: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**حاجة أحدهم عرق بغيض من جلودهم مثل ربيع المسك فإذا البطن قد ضمر**»[1].

والتمتع بالحور العين يكون بالملامسة، والحديث معهن وسماع غنائهن، والتلذذ بجمالهن والتمتع بشم رائحتهن الزكية.

ـ فالملامسة:

وما يصاحبها من مقدمات وضم وتقبيل، وهذا لازم الملامسة قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾ [يس:55-56]، قال ابن مسعود وابن عباس وقتادة ومجاهد وغيرهم. شغلهم افتضاض الأبكار[2].

ـ الحديث معهن:

ومن معاني قوله تعالى: ﴿فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾ [يس: 55] أي

---

(1) مسند أحمد، رقم: 19165 سنده صحيح.

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (15 / 30).

مشغول بمحادثتها وكلامها ومسامرتها وممازحتها ومذهول من طيب كلامها ومشغول بها عن الالتفات لغيرها[1]، قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله: ﴿فَٰكِهُونَ﴾: الفاكهة المزاح والكلام الطيب، والمتفكه: المتنعم[2].

* سماع غنائهن:

قال تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزّخرُف: 70].

الحبرة اللذة وسماع الغناء[3].

* التلذذ بجمالهن:

إن من صفات الحور العين أنهن ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ ومن معانيه أنهن قصرت أعين أزواجهن عليهن من شدة جمالهن فلا يطمع لغيرها ولا يلتفت عنها ولا يبتغي سواها قد شغفته حبّاً، وامتلأ قلبه من حبها واكتنز وفاض حتى غمر جوارحه فلا ينظر لسواها وهذا من النعيم الكامل واللذة التامة، حتى العين لها نصيب وافر من النعيم واللذة، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف: 71].

* التمتع بشم رائحتهن الزكية:

لا شك أن الرائحة الطيبة في المرأة مما يزيدها حباً لزوجها

(1) اليوم الآخر المطيري، ص: 634.
(2) تفسير القرطبي (31/ 51).
(3) البعث والنشور للبيهقي، ص: 211.

وهو من كمال اللذة[1] والاستمتاع بهن، والحور العين لهن من ذلك أوفر نصيب، حيث إن عبق طيبها لو خرج إلى الأرض لملأها مسكاً[2]، قال رسول الله ﷺ: **«لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد. يعني سوطه. خير من الدنيا وما فيها ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينها ولملأته ريحاً، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها»**[3].

إذن يكون التمتع بهن بجميع الحواس الخمس، وهذا من أعظم النعيم، حيث يفيض التمتع على جميع أجزاء جسده ويغمر كل ذرة في جسمه[4].

الثاني عشر: أفضل ما يعطاه أهل الجنة النظر إلى وجه اللّه الكريم:

إن مسألة رؤية المؤمنين لربهم ﷻ بالأبصار في الدار الآخرة من أشرف المسائل وأجلها، إذ هي الغاية القصوى، والنهاية العظمى، وأعلى الكرامات، وأفضل العطيات التي شمّر إليها السابقون، وتنافس فيها المتنافسون، واجتهد في نيلها العابدون وقد تضافرت النصوص من الكتاب العزيز والسنة النبوية الصحيحة على

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 636.
(2) المصدر نفسه، ص: 636.
(3) البخاري، رقم: 2643.
(4) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 637.

أن المؤمنين يرون الله ﷻ بأبصارهم كما يرون القمر ليلة البدر[1].

والآيات تدل على رؤية الله تعالى كثيرة وهي أنواع منها:

1 ـ آيات المزيد:

قال تعالى: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس: 26].

قال ﷺ: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة قال يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم، فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم** ﷻ، ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[2]. وقال ﷺ: «**الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الرحمٰن**»، وهذا الحديث متواتر يقطع بصحته[3].

وقال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: 35]، وعن علي وأنس ﷺ أن تفسير هذه الآية النظر إلى وجه الرحمن[4].

قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ كقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[5].

---

(1) أقوال التابعين، عبد العزيز عبد الله (1066/ 3).
(2) مسلم، ك الإيمان، رقم: 181.
(3) نظم المتناثر من الحديث المتواتر، للكتاني، ص: 253.
(4) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي (519/ 3).
(5) تفسير ابن كثير (228/ 4).

2 ـ الآيات الصريحة في النظر إلى وجه الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: 22 . 23].

الناضرة: الحسنة؛ حسنها الله بالنظر إلى ربِّها ﷻ، وحق لها أن تنضر وهي تنظر إلى ربها جل جلاله[1].

وفي قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ هذا من النظر إلى؛ أي إلى خالقها ومالك أمرها. ناظرة، أي تنظر إليه، والمراد به ما تواترت به الأحاديث الصحيحة من أن العباد ينظرن إلى ربهم يوم القيامة كما ينظرون إلى القمر ليلة البدر[2].

3 ـ آيات حرمان الكفار من رؤيته سبحانه:

بين سبحانه ـ في بعض الآيات ـ أنه يحرم الكفار من النظر إليه عقوبة لهم على كفرهم، وهذا يدل بمفهومه أن المؤمنين يرونه سبحانه، إذ لو كان المؤمنون لا يرونه أيضاً لما كان لتخصيص الكفار بالحرمان فائدة بل أصبح هذا الكلام من العبث الذي ينزه عنه الشارع، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 77]، وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: 15].

---

(1) أقول التابعين في مسائل التوحيد والإيمان (1074/ 3).

(2) فتح القدير للشوكاني (336/ 5).

في هذه الآية دليل على أن الله ﷻ يُرَى في القيامة، ولولا ذلك ما كان في هذه الآية فائدة، ولا خست منزلة الكفار بأنهم يحجبون، وقال مالك بن أنس في هذه الآية: لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه. وقال الشافعي: لما حجب قوماً بالسخط، دل على أن قوماً يرونه بالرضا، ثم قال: أما والله لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى ربه في المعاد لما عبده في الدنيا[1].

وعن أشهب قال: سأل رجل مالكاً: هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة؟ فقال مالك: لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة؟ فقال مالك: لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيام لم يعير الله الكفار بالحجاب، فقرأ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾، فقيل له: يا أبا عبد الله فإن قوماً يزعمون أن الله لا يُرى فقال مالك: السيف السيف[2].

4 ـ آيات العندية:

عن مسروق قال: سألنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: 169]، قال: أما أنا قد سألناه عن ذلك ـ يعني رسول الله ـ ﷺ فقال: **«أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا**

(1) تفسير القرطبي (171/ 19) بتصرف.

(2) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (518/ 3) للالكائي.

أنهم لن يتركوا من أن يسألوا فقالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا»[1].

5 ـ آيات الملاقاة:

ـ قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البَقَرَة: 223].

ـ وقال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ [الأحزَاب: 44].

ـ وقال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [هود: 29].

ـ وقال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 249].

وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110].

قال ابن مسعود: من أراد النظر إلى وجه الله خالقه فليعمل عملاً صالحاً ولا يخبر أحداً[2].

---

(1) مسلم، ك الإمارة، رقم: 1887، اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 644.
(2) حادي الأرواح، ص: 372.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: 46].

قال ابن القيم: وأجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب إلى الحي السليم من العمى والمانع، اقتضى المعاينة والرؤية[1].

6 ـ الأحاديث النبوية في الرؤية:

وقد ثبت رؤية المؤمنين لله ﷻ في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها[2].

وفي نظم المتناثرة من الحديث المتواتر ذكر أن أحاديث الرؤية وردت مرفوعة من طريق ثمانية وعشرين صحابياً ثم سرد أسماءهم[3].

وقال ابن أبي العز الحنفي: وقد روي أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابياً ومن أحاط بها معرفة يقطع بأن الرسول قالها[4]، **ومن هذه الأحاديث:**

ـ عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن أناساً في زمن النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال النبي ﷺ: «**نعم، هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة ضوء ليس فيها سحاب؟**» قالوا:

---

(1) حادي الأرواح، ص: 328.
(2) تفسير ابن كثير (450/ 4).
(3) نظم المتناثر للكتاني، ص: 250 حادي الأرواح، ص: 337.
(4) شرح الطحاوية (217/ 1).

لا، قال: «**هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ضوء ليس فيها سحاب؟**» قالوا: لا، قال النبي ﷺ: «**ما تضارون من رؤية الله ﷻ يوم القيامة إلاَّ كما تضارون في رؤية أحدهما**»[1].

- وعن أبي هريرة أن ناساً قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟**» قالوا: لا، يا رسول الله، قال: «**هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟**» قالوا: لا، يا رسول الله، قال: «**فإنكم ترونه كذلك**»[2].

- عن جرير بن عبد الله قال: قال النبي ﷺ: «**إنكم سترون ربكم عياناً**»[3].

7 ـ رضوان الله أكبر:

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: 72] ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي: رضا الله عنهم أكبر وأجل وأعظم مما هم فيه من النعيم، عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله ﷻ يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا**

(1) البخاري، رقم: 7002.
(2) البخاري، رقم: 7000، مسلم، رقم: 182.
(3) البخاري، رقم: 6998.

نرضى يا ربِّ، وقد أعطيتنا ما لم تُعط أحداً من خَلْقِك، فيقول: ألا أُعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا ربِّ، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحِلُّ عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً»[1].

الثالث عشر: آخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين:

بعد انقضاء الحساب تحمد الملائكة ربها:

ـ قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۚ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزُّمَر: 75].

ـ وأما المؤمنون بعد دخولهم الجنة فيقولون: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾[فاطر: 34 . 35].

ـ وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الزُّمَر: 74].

ـ وآخر دعواهم في جنات النعيم: الحمد لله رب العالمين، قال تعالى: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يُونس: 10].

---

(1) البخاري، رقم: 6549، مسلم 2829.

الخاتمة

وبعد: فهذا ما يسره الله لي من حديث عن اليوم الآخر ضمّها هذا الكتاب وقد سميته «الإيمان باليوم الآخر».

فما كان فيه من صواب، فهو محض فضل الله عليَّ، فله الحمد والمنَّة، وما كان فيه من خطأ، فاستغفر الله تعالى وأتوب إليه، والله ورسوله بريءُ منه، وحسبي أني كنت حريصاً ألاّ أقع في الخطأ، وعسى ألا أحرم من الأجر.

وأدعو الله أن ينفع بهذا الكتاب بني الإنسان وأن يذكرني من يقرؤه من إخواني المسلمين في دعائه، فإن دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب مستجابة إن شاء الله تعالى وأختم هذا الكتاب بقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: 10] وبقول الشاعر:

يامنزل الآيات والفرقان	بيني وبينَك حرمة القرآن
اشرح به صدر لمعرفة الهدى	واعصم به قلبي من الشيطان
يَسِّر به أمري وأقض مآربي	وأجر به جسدي من النِّيران
واحطُطْ به وزري وأخلص نيَّتي	واشدُدْ به أزرِي وأصلح شاني
واكشُف به ضُرِّي وحَقِّقْ توبتي	واربح به بيعي بلا خسراني

طهِّر به قلبي وصَفِّ سريرتي ... أجمل به ذكري واعلِ مكاني
واقطع به طمعي وشرِّف هِمَّتي ... كثر به ورعي واحي جناني
أسهر به ليلي وأظم جوارحي ... أسبل بفيض دموعها أجفاني
أُمزجه يا ربِّ بلحمي مع دمي ... واغسل به قلبي من الأضغاني
أنت الذي صوَّرتني وخلقتني ... وهديتني لشرائع الإيمان
أنت الذي علَّمتني ورحمتني ... وجعلت صدري واعيَ القرآن
أنت الذي أطعمتني وسقيتني ... من غير كسب يدٍ ولا دكان
وجبرتني وسترتني ونصرتني ... وغمرتني بالفضل والإحسان
أنت الذي آويتني وحبوتني ... وهديتني من حيرة الخذلان
وزرعت لي بين القلوب مودَّة ... والعطف منك برحمة وحنان
ونشرتَ لي في العالمين محاسناً ... وسترت عن أبصارهم عصياني
وجعلت ذكري في البرية شائعاً ... حتى جعلت جميعهم إخواني
والله لو علموا قبيح سريرتي ... لأبى السلام عليَّ من يلقاني
ولأعرضوا عنِّي وملُّوا صحبتي ... ولبُؤتُ بعد كرامة بهوان
لكن سترت معايبي ومثالبي ... وحلمت عن سقطي وعن طغياني
فلك المحامد والمدائح كلها ... بخواطري وجوارحي ولساني
ولقد مننت عليَّ ربِّ بأنعم ... مالي بشكر أقلُّهنَّ يدَان
فوحقِّ حكمتك التي آتيتني ... حتى شددت بنورها بُرهاني
لئن اجتبتني من رضاك معونة ... حتى تقوي أيْدُها إيماني
لأسبحنَّك بكرة وعشية ... ولتخدمنك في الدُّجى أركاني
ولا ذكرنك قائماً أو قاعداً ... ولا شكرنك سائر الأحيان
ولأكتمن عن البريَّةِ خلتِّي ... ولا شكونَّ إليك جهد زماني
ولأقصدنك في جميع حوائجي ... من دون قصد فلانة وفلان

ولأحسمنَّ عن الأنام مطامعي بحُسام يأس لم تشُبْهُ بناني
ولا جعلنَّ رضاك أكبر همتي ولا ضربن من الهوى شيطاني
ولا كسون عيوب نفسي بالتُّقى ولأقبضن عن الفجور عناني
ولأمنعن النفس عن شهواتها ولأجعلن الزُّهد من أعواني
ولا تلون حروف وحيك في الدّجى ولأحرقن بنوره شيطاني[1]

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إلٰه إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

(1) نونية القحطاني، ص: 9، 10.